المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي عشر بعد المئة

١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ١٩ محرم سنة ١٣٦٧

التكافل الاشتراكي

نظرية مَّا في النظام الاجتماعي

البحث الاول فى تحليل النظرية

١ — التكافل : انتقال من حالة العجز الى حالة القدرة

الانسان حيوان تجري عليه كل النواميس التي تجري على غيره من الحيوانات التي تنزل عنه مرتبة في سلم الوجود . ذلك ما أبان عنه علم الأحياء (البيولوجيا) في حياة الفرد ، وما أثبته بصورة قاطعة علم التطور في تأصل الأنواع .

ظل الانسان أحقاباً تلو أحقاب يتوارث تلك الخرافة القديمة ، خرافة أنه من طينة غير طينة الأحياء ، وانه يعود بأصله الى خليقة قدسية ، وانه النوع المختار في نظام الكون وانه سيد جميع المخلوقات . ترتب على ذلك ان يقوم في نفسه اعتقاد ثابت تنقل معه خلال الأزمان ، اعتقاد أن كل النظامات التي ورثها عن بدائياته الأولى إنما هي نظامات فيها من القدسية ومن الأزلية والثبات ، ما في ذلك المنبع التي ادعى الانسان جهلاً وزوراً أن أصله يعود اليه . فبقدر ما في طينة الانسان التي ادعاها لنفسه من أصل سماوي كان في [illegible] الاجتماعية كذلك أقباس قدسية تسيره وتخلق في مجتمعه طبقات بعضها [illegible]

تقسم الحظوظ ، وتوزع الأرزاق حتى ترتب على ذلك أن يقوم في نفس الفرد وفي مخيلة الجماعات ان الخروج على هذا النظام ، بالفكر أو بالفعل ، افتيات على السلطة العليا التي فرضته والارادة الشاملة التي صورته وأقامته على أنه النظام الذي يجري على سنن ثابتة ، كأنه الجاذبية التي تحفظ نظام الافلاك ، أو نواميس العدد والحساب .

مما قام على ذلك الوهم نظرية الحق الالهي للملوك في أن يحكموا في الأرض بارادة الله ، وان لهم أن يوزعوا من ذلك الحق وهذا السلطان مقادير على من هم دونهم من أصحاب الحظوظ الذين يحكمون باسمهم ، وراح الناس لهذا خاضعين لأن الذي يعتدي على هذا الحق انما يعتدي على الارادة التي شاءت أن يكون النظام على ما هو كائن أبد الآبدين ودهر الداهرين.

ومما قام عليه أيضاً وهم أن الكنائس وأرباب السلطة الدينية هم وكلاء الديان الأعظم وانهم يستمدون منه الجبروت والسلطان ، فنشّؤوا فكرات ومذاهب راحوا يطبقونها على الناس خلال عصور طوال ، حتى لقد اعتقدوا ان الخلاص ودخول الجنة من الاشياء التي تجدي فيها القوة والجبر ، فراحوا يفتكون بالانفس والأرواح حرقاً وذبحاً وتمثيلاً ، حتى ولو قال زاهد في الجنة إنه زاهد فيها ، لما ترددوا في أن يجدلوه بالسيف أو يلقمونه النار لأن دخوله الجنة فرض عليهم ولو زهد هو فيها ، لأنهم بذلك إنما يتقربون الى الله .

ولو اننا أردنا أن نعدد غير ذلك من أوهام البشر ، لاحتجنا الى فراغ كبير ولكن يكفي أن نقول إن كثيراً من هذه الأوهام ، أو قل جلها ، قد زال وانقشعت غياماته من سماء العقل ، وانحدرت الى حيث تطويها ظلمات القرون . أكثر هذه الأوهام ومنها المعجزات والخوارق والكرامات وما الى ذلك قد ماتت الآن ميتة سحرية ، حتى ان أحداً لم يحس بها كيف ماتت أو كيف اقتلعت جذورها من رحاب العقل ، وتلك ظاهرة لا معلل لها عندي الا تقدم المعرفة وضعف الاحساس بأن للغيب أثراً مباشراً في جزئيات هذه الحياة ومتعلقاتها . وتطور الفكرة الحضارِيّة ، بمقتضى النواميس والحقائق الثابتة التي كشف عنها العلم في الحديث .

ف العلم عن وحدة الحياة . فإن الحياة الآن سواء أظهرت في صورة نبات أو حيوان
مي الخَلِيّة البسيطة التركيب الغرارِيّة القوام ، التي يمثل الحركة

الحيوية فيها شيءٌ يقال له « النواة » فخلية نباتية بلا نواة » هي خلية ميتة وكذلك الخلية الحيوانية . فانك إن انتزعت منها « النواة » انتزعت منها سر الحياة ، وانتزعت منها قوّة التكاثر بالإنقسام ، بل أنك تكون قد انتزعت منها كل ما يخرجها من عالم الحياة الى العوالم الموات . وليس الانسان في ذلك خَلْقاً وحده . فإن أصله خلية واحدة ، طبيعتها من حيث أنها حية ، طبيعة خلايا جميع الأحياء . فالإنسان بمقتضى ذلك حيوان جرت عليه سنن الوجود بما جرت على غيره من الأحياء ، فتنقل في منازل من التطور دلت عليها بضعة مكتشفات علمية أظهرته في بداياته الأولى أقرب الى القردة العليا منه الى الإنسان الحالي ، وبين هذين المدرجين حلقات طويلة من التطور طواها الزمن في ثناياه .

وكشف العلم عن أن الأرض التي هي مقرّ الانسان بأصله المقدس وطينته العلوية ، إنما هي ذرّة بسيطة في وجود يكاد لا يتناهى ، وأنها هباءة تدور من حول نجم منير ، هذا النجم بذاته ليس إلاّ كلا شيء بالقياس على الأكوان التي تترامى في ذلك الفضاء . فلم تصبح الأرض مركز الوجود الكوني ، ولا مكانها هو المكان المختار منه ، لتكون مَقَرَّ الخلق المختار ، الذى هو الانسان .

تبدّدت الأوهام التي تجمعت في خيال الانسان وانفجرت كأنها فُقّاعة من الصابون ضغطها الهواء ، فنشطت العقول الى البحث ، وراحت طبيعة الانسان تدعوه الى أن يعدّل مركزه الوجودي بمقتضى الحقائق الجديدة ، فخلف وراءه المعجزة والخارقة والكرامة ، ونسي قانون الصدفة ، ليؤمن بقانون السببيّة الشامل في هذا الكون وفي هذه الحياة .

فالعلم إذن هو الأساس الذي تقوم عليه معرفتنا بحقائق الحياة . ولم يبق للعقيدة والأسطورة والمعجزة من مكانٍ بجوار العلم . وما يثبت العلم هو الواقع ، وما ينافيه هو الأغلُوطَة . وتلك هي الجادة التي ينبغي لنا أن نتبعها في حياتنا الحضارية الحديثة . فمن أخذ بها أخذ بالسنة التي تنير سبيله في الدنيا فرداً أو شعباً أو جماعة ، ومن تنكر لل

للعلم

تنكر له الوجود

فتنكر له

وتلك هي جناية العلم . جناية جناها على القدماء وعلى المحدثين . بدّد الأوهام [illegible]

أوائلنا صامدين في كنفها ، راضين بأن يلقوا بحياتهم في أحضان المعج[illegible]

وفتح أمام المحدثين رحاباً حفزتهم الى التطلع الى آمال وأغراض بعيدة الآفاق طويلة الآماد فسيحة الرّحاب ، ونقل الانسان من الايمان بالآخرة الى الإيمان بالدنيا ، وإن شئت الحيطة ، فقل إنه جعل إيمانه بالدنيا سبيلا الى الإيمان بالآخرة ، فارتدت أمام العقل آفاق وسعته في أيام جهالاته وأساطيره الأولى ، وحلت محلها آفاق أخرى تتسع دواليك وتترامى حنياتها بنسبة اتساع العقل ووقوفه على أسرار هذا الوجود الإنساني في أية صورة تشكل وبأي طابع طبع ، فرداً أم جماعة ، أسرة أم قبيلة ، حكومة أم شعباً ، وبيّن السبيل وأنار الطريق الى أهدافٍ تراءت أمام العقل ، حتى لقد استبان فيها الأسباب التي أدّت الى تعاساته وشقاواته ، وأمدّه بنور كشف له عن سبيل قد تسلم به الى درجات من الارتقاء والتطور قلما خطرت ببال انسان قبل قليل من الزمان .

* * *

استحدث العلم جملة انقلابات صارخة في التّعقُّل الانساني . من ذلك جحوده المعجزة وإيمانه بالسببيّة . ومنها أنه حيوان قابل للارتقاء والتقدم ، لا خلق جامد صوّر على نموذج لا يتطوّر . ومنها قدرته على الخلق ، بمعنى استحداث توليفات جديدة من المادة أو الفكر ، مستمدة من عناصر قديمة . ومنها إيمانه بذاته بالقوى المجهولة التي احتكمت في خيالاته وقدرت حالات حياته تقديراً . أمّا أعظم هذه الانقلابات جميعاً وأبلغها أثراً في حياته الاجتماعية ، فتقييم نظاماته الحضاريّة بمقتضى المنفعة والحاجة ، ويقينه بأن قِيَم هذه النظامات ليست جامدة ، بل هي تطورية تجري عليها نواميس النشوء جريانها على كل ما في الوجود ، فقيمة شيء ما من أشياء الاجتماع قد تصلح لعصر ، ولكن لا تصلح لغيره ، وان هذه النظامات تَكَامُلِيّة ، بمعنى أن جزءاً منها إذا تطور انبغى ان تتطور معه بقيتها ، وإلاّ اعتلّ مجموعها باعتلال أجزاء منه ، وما اعتلاله إلاّ تخلفه عن التطور .

هذا الانقلاب الذي أحدثه العلم ، هو في معتقدي من الأسباب الصّارمة التي وجهت الجماعات في العصر الحديث ، وهو الذي يعود إليه كل ما في المجتمعات الحديثة من كال ، شيوعية أو اشتراكية ، جماعيّة أو ضماميّة ، استبدادية أو ديمقراطية ، ضوية . وحتى مذهب العدمية ، فإنه لا يخرج عن حكم ذلك . فإن هذه

الاتجاهات والنزعات هي في الواقع انعكاسات مختلفة تصدر عن بيئات مختلفة ، وتتباين فيها نظم النظامات الاجتماعية . على إنها جميعاً انما تدل على أن القيم الاجتماعية التي آمنت بها الجماعات الإنسانية حتى وقت قريب ، قد أخذت تتطور ، وانه بمقتضى ما لنا بها من علم قياساً على إحداث التاريخ ، قد أخذت تزداد مرونة حتى أن تشكُّلها في صورة بعينها من الصُّور ، قد أخذت تكتمل قسماته وتُستَبان تفاصيله .

لا نستطيع أن نصدر حكماً تعميمياً في واحدة بذاتها من هذه القيم الاجتماعية ، فنقول بأنها ستصبح صاحبة الأثر الشامل في نظام الاجتماع . فليس في مستطاعنا مثلاً أن نقفي بأن وجهاً بعينه من وجوه الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها من المذاهب أو القيم ، هو الذي سوف يكون له السلطان على أقدار البشر . إنما الحكم في مثل هذه الأشياء ضربٌ من التفريط لا تسوّغه طبيعة العلم . والعلم ايجابيّ عقلي محدود الأطراف . وقصارى ما يدلنا عليه العلم استنتاجاً من ظروف الحالات والاتجاهات التطوريّة التي شهدناها في خلال قرن كامل من العصر الحديث ، أن هنالك وجهاً من التطور سارت في دربه الجماعات الإنسانية ، وجهاً جديداً أقام في نفس كل مفكر ، مهما اتضعت قوى فكره ، ان الحضارة تتجه في تطورها نحو نظام تتسع فيه دائرة المشابهات بين الأفراد ، وتضيق فيه دائرة الفروق بينهم ، وانه بمقتضى التدرج في هذا الاتجاه ستقل الفروق التي أقامتها الأوهام القديمة بين الطبقات . أما الحكم في الصورة النهائية التي سوف تلابس هذا الاتجاه التطوري ، فالقول بها راجع الى تقديرات تختلف باختلاف قوة الحكم وتباين النزعات والمشاعر والعواطف بين الباحثين ، كما إنها تخضع في أحيان كثيرة لظروف البيئة والوراثة فردية واجتماعية في السلالات والشعوب .

لقد زوّد العلمُ الانسان بقوىً جديدة ، وهيأ له من الأسباب ما مكّن له في الأرض ، حتى لقد يستطيع اذا رشدت أحلامه ان يكون له أثر في توجيه خطى التطور نحو أهدافٍ جديدة تقربه شيئاً بعد شيء من عصره الذهبي الذي تطلع اليه كثير من الفلاسفة . لهذا لا ينبغي لنا أن نيأس من قدرتنا على توجيه خطى التطور نحو الغايات العليا والمثل التي نتطلع اليها ، بل يجب أن نستعين بالعلم ونسترشد بأحكامه وحقائقه ، موقنين بأن التط [illegible] من أشياء الطبيعة ومن خصائص الطبيعة ، فانه في الاجتماع من الأشياء ال [illegible]

فيها الارادات الإنسانية ، وإنه يمكن توجيهه في طريق مأمون سليم من عنف الفوضى ومن عواقب الانقلابات الفجائية . واعتقد فوق ذلك ان إقامة نظام المجتمع على قاعدة « التكافل الاشتراكي » هو آمن سبيل تُوَجَّه فيه الاتجاهات التطوريّة . وإذن نتساءل ما هو « التكافل » أوّلَ شيء ؟

* * *

« التكافل » في عالم الاحياء معناه « المعايشة » أو « التعايُش » . ومجرد النظر في « التكافل » من ناحية لغوية صرفة ، ينقل الى الذهن معنى ينافي معنى « التنافس » في الحياة الاجتماعية ، ومعنى « التناحر على الحياة » في الحياة الطبيعيّة . وفي التكافل معنى « التفاعل » وهي صيغة تدل على تبادل الأثر . جاء في لسان العرب .

« الكافل العائل : كَفَلَه يَكفُله وكفّلَه إياه ، وفي التنزيل العزيز وكَفّلها زكريّا ، وفي الحديث أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة له ولغيره ، وقوله كهاتين اشارة الى أصبعيه السبابة والوسطى ، والكافل القائم بأمر اليتيم المربّي له ، وهو من الكفيل الضمين ، وتكفّل بدينه تَكفُّلاً . ضمنه ؟ الخ .

فأنت ترى من ذلك أن « التكافل » معناه « التضامن » ، تفاعلاً بين طرفين. والتكافل في اللغات الأعجمية تدل عليه كلمة مركبة (Symbiosis) من كلمتين يونانيتين تخريجهما « التحايي » أو « التعايش » ، والمدلول العلمي هو « الحياة المتحدة أو الاتحاد الحيوي بين كائنين عضويين »

ولا ضرورة للمضي في ضرب أمثال علمية من حياة الحيوان والنبات لتبيان ذلك ، إذ يكفي هنا أن نعرف على وجه الاختصار أن التكافل في الحياة العضوية معناه ضرب من المعايشة يتوقف فيه حياة كائن على حياة آخر ، بحيث تصبح حياتهما مرتبطة ارتباطاً تكافليًا تشترك فيه المصالح بينهما اشتراكاً حيويًا لكليهما

من الخصيات البينة في النظام الاجتماعي الذي ورثته الحضارة عن نظام الاقطاعات ، خصية قيام الحياة الاجتماعية على قاعدة التنافس ، مع تفاوت الفرص بين الناس . وكان من
أن نظاماً يخرج من ثنايا النظام الاقطاعي لا بد من أن يرث الكثير من خصائصه.
الخصائص التي ورثها العصر الحديث عن القرون الوسطى ، كانت ولا شك بِزرة

الفساد التي حملتها المدنية الجديدة الى أجيالنا التي نعايشها . ولقد فرّخت تلك البزرة وتكاثر نسلها وتشعب في نواحي المجتمع ، وكان من أخص ما فرّخت ، النظام الرأسمالي على الصورة التي نعهدها في عصرنا هذا .

لا شك أنه من الطبيعي أن يتولد عن النظام الاقطاعي نظام فيه تفاوت كبير بين الطبقات . على أن هذا النظام المتطور عن نظام الاقطاع إن كان قد خطا بالانسانية خطوة كبيرة نحو تقارب الطبقات ، فانه ولا شك قد حمل في ثناياه كثيراً من مفاسد ذلك العصر ونقائصه .

النظام الرأسمالي الحديث نظام فيه من تقارب الطبقات قدر يمكن أن يعتبر خطوة الى الأمام ، بالقياس على حالة الجمود التي اتصف بها العصر الاقطاعي . غير انه حمل في طياته أعظم نقائص ذلك العصر . حمل معه نقيصة تفاوت الفرص بين الأفراد بدرجة واضحة . فالفرد الحر ، من أجل أن يكون حرًّا بمعنى الكلمة ، ينبغي أن يعطى فرصة مساوية أو مقاربة للفرصة التي تتهيأ لغيره من أفراد الجمعية . أما أن يكون حرًّا أمام القانون ، بمعنى أنه ليس عبداً رقيقاً من وجهة النظر القانونية وحدها ، وان القانون يحرره من كل القيود التي قيدت العبيد والارقاء في العصر الروماني وفيما تبعه من عصور الحضارة الأوربية إلى حدود العصر الحديث ، ثم يترك مستذلاً بقوة الطبقة التي تعلوه ، وما قوتها إلاّ المال ، تستغل به الفرص التي ينبغي أن تكون مشاعاً للجميع ، فإن ذلك هو عند الواقع انتقال من حال من العبودية الى حال تماثلها ، مع فرق واحد ، هو الاعتراف نظريًّا بتساوي الجميع أمام القانون .

غير ان خروج الجماعات من أسر النظام الاقطاعي قد هيأ لها فرصة حقيقية مهدت لها سبيل الارتقاء . هيأ لها فرصة الشعور بالقوة ، وبدّلها من الشعور بالضعف والاستكانة شعوراً بأن لها حق الحياة ، وان حق الحياة حق مشاع لكل أفراد الجمعية ، على ان يكون فيه من تساوي الفرص ما يضيق دائرة الفروق بين الطبقات على أوسع صورة مستطاعة .

على ان تفاوت الفرص أمام الأفراد ، وحصر المال في يد فئة بعينها من الجمعية ، قد قلب نظام المجتمع ، مع حلول العصر الصناعي ، من ركود العصر الاقطاعي الى تنافس [illegible] الانتاجي ، فظهر الاجتماع الإنساني في صورة معركة حامية الوطيس بين الرأسماليين [illegible]

يستغلون بمالهم أسمى الفرص، وبين اللارأسماليين الذين تفوت عليهم فرص الحياة بسبب ضعفهم المالي، وحاجتهم الى سد مطالب الحياة التي لا تسد إلاّ بالعمل، سمت صورته أم اتضعت، حسنت أم فسدت. فانقسم الناس بذلك معسكرين كبيرين، العمال واصحاب المال، وظهر بذلك مذهبان مذهب القول باستعباد الفرد لصالح الجمعية، وهو مذهب التطرف الاشتراكي، ومذهب استعباد الجمعية لصالح الفرد، وهو مذهب التطرف الرأسماليّ.

وأعتقد ان كليهما مُحَطّم لناحية ضرورية من نواحي الحياة الاجتماعية، فالفرد ضروري للمجتمع وحريته كفيلة بتطور الجماعة، والجماعة ضرورية للفرد على ان لا يكون لسيادتها عليه من الأثر ما يضيع على الجمعية أثره الفرديّ. إذن فلا بدّ من قيام نظام اجتماعي على قاعدة «التكافل» بين الفرد والمجتمع، حيث يتكاملان بدون أن يطغى طرف منهما على صاحبه. وذلك هو موضوع النظرية في هذا البحث.

إن النظام الذي خرجت به الحضارة من عصر الاقطاعات، نظامٌ أصاب الجماعات بضروب خاصة من العجز. وهو بما ينطوي عليه من تسود أقليّة محظوظة على أكثرية غير محظوظة، بأسلحة يورثها لطبقة بعينها ويحميها القانون بمقتضى أنه قانون خرج من جوف ذلك النظام ومن بيئته، قد أفرغ على الجماعات صورة من التفاوت الطبقي هي بذاتها دليلٌ حيّ على عجزه عن خلق صورة من الاجتماع يسود فيها السّلام. صورة تركب بحيث تدفع كل فرد نحو العمل بأقصى ما تصل استطاعته لخير الجمعية، وتركّب الجمعية تركيباً من شأنه أن تنمي الكفايات الفرديّة.

النظام الرأسمالي نظام تنافسيٌّ. ولكنه مع ذلك يصد الكفايات الفردية عن النماء. فان تفاوت الفرص التي تتهيأ فيه للناس وعدم تقاربها يجعل استغلال الكفايات الفردية الكامنة في مجموع الأمة أمراً مستحيلاً بذاته على المجموع الأكبر من الناس. وكذلك النظام الاشتراكي المتطرف الذي يجعل الدكتاتورية أساس حكمه من شأنه أن يصد الفكر عن الابتكار ويصد التطور عن أن يخطو في الطريق السليم الذي يدفع الجماعات نحو غايات مثالية من التعاون المعاشيّ والفكريّ.

أما التكافل الاشتراكي فنظام من شأنه أن يصد طغيان الفرد على الجمعية، ويصد طغيان الجمعية على الفرد. هو تركيب اجتماعي تتساوى فيه الفرص عند الفرد لتنمية كفاياته الفردية، وعند الجمعية لتساير مقتضى التطور الضروري لوجودها. هو نظام يخرج الجماعات عن حالة التي ورثتها عن عصر الاقطاع الى حالة القدرة التي سوف تبلغ بالجماعات البشرية الى العليا.

اسماعيل مظهر

دراسات للعالم الاسلامي

باكستان

١ – حقائق عامة

تبلغ مساحة الهند ١٬٥٧٢٬٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها وفقاً لاحصاء عام ١٩٤١ – ٣٨٨٬٩٩٧٬٩٥٥ نسمة يؤلفون خمس سكان العالم . ويتكوّن السكان من عدد هائل من الاجناس والديانات المختلفة .

وفيما يلي التوزيع الطائفي لسكان الهند وفقاً لذلك الاحصاء

الطائفة	العدد	النسبة المئوية من المجوس
الهندوس (عدا المنبوذين)	٢٠٦٬١١٧٬٣٢٦	٥٣٫٠
المنبوذون	٤٨٬٨١٣٬١٨٠	١٢٫٥
	٢٥٤٬٩٣٠٬٥٠٦	٦٥٫٥
المسلمون	٩٤٬٣٨٩٬٤٢٨	٢٤٫٣
مسيحيون	٦٬٠٤٠٬٦٦٥	١٫٦
السيخ	٥٬٦٩١٬٤٤٧	١٫٥
طوائف أخرى	٢٧٬٩٤٥٬٩٠٩	٧٫١
	٣٨٨٬٩٩٧٬٩٥٥	١٠٠

وينتشر الاسلام في كافة أنحاء الهند بنسب مختلفة ، على أن أعظم نسبة له هي في الشمال الغربي والشمال الشرقي للبلاد . فعلى الحدود الأفغانية الهندية أو خط دورانه كما يدعى ، نجد ولاية الحدود الجديدة التي يقطنها أكثر من مليون وربع مليون نسمة كلهم مسلمون من القبائل الأفغانية مثل الأفريدي والوزيري وهي قبائل قوية الشكيمة عانى منها الانكليز لعهد حروباً متصلة بسبب نزوعها الى الاستقلال وأنفتها من الخضوع لأجنبي. ولا يحكم الا[illegible] هذه القبائل بل تحكمها مجالسها الخاصة وزعماؤها المختارون . وعلى نهر كا[illegible]

بيشاور عاصمة ولاية الحدود الشمالية الغربية وعدد سكانها ثلاثة ملايين ٩١ ٪ منهم مسلمون من الجنس الافغاني.

أما ولاية البنجاب — وتقع على الضفة الشمالية الغربية لنهر السند — فيبلغ عدد سكانها ٢٨ مليون نسمة فضلاً عن خمسة ملايين نسمة سكان ٤٥ امارة يحكمها أمراء وطنيون وتقع ضمن نطاق الولاية. وولاية البنجاب هي المنتج الرئيسي للقمح والقطن الطويل التيلة في الهند. فيبلغ انتاجها السنوي من القمح ٣٫٥ مليون طن تعادل ٣٥ ٪ من مجموع محصول الهند منه. وعاصمة الولاية مدينة لاهور وعدد سكانها ٦٧٠ ألف نسمة وتعتبر خامسة مدن الهند في عدد السكان، وهي مركز صناعي هام ونقطة تلاقي خطوط السكك الحديدية في البنجاب، وبها الجامعة الوحيدة في الشمال الغربي من الهند. وشرق لاهور تقع مدينة امرتسار وسكانها أربعمائة ألف نسمة وهي المدينة المقدسة للسيخ. وسكان البنجاب بوجهٍ عام متجانسون من ناحية الجنس والعادات. فاللغة الشائعة هي الأوردية وتكتب بحروف عربية وتكثر فيها الكلمات العربية والفارسية، إلا أن للسيخ لغتهم الخاصة. وغالبية سكان البنجاب مسلمون ونسبتهم الى مجموع السكان ٥٧٫١ ٪ ثم يأتي بعدهم الهندوس ٢٨ ٪ ثم السيخ ونسبتهم ١٤٫٥ ٪.

ومن ولايات الحدود الشمالية الغربية والبنجاب وبلوخستان والسند يتكون الشق الشمالي الغربي من الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر ومساحته نصف مليون كيلو متر مربع وعدد سكانه ٣٦ مليون نسمة منهم ٢٢ مليون مسلم ونسبتهم الى مجموع السكان ٦١٫١ ٪ بيد أن ثمة إمارة إسلامية هي كشمير ويحكمها راجا هندوسي في شمال البنجاب ومساحتها مائتا ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها أربعة ملايين ٧٦ ٪ منهم مسلمون

وتقل الأغلبية الاسلامية كلما اتجهنا شرق الهند وجنوبها الى أن نصل الى ولاية البنغال في الشمال الشرقي للهند. وتبلغ مساحة البنغال مائتا ألف كيلومتر مربع وينوف عدد سكانها على الستين مليوناً ٥٤ ٪ منهم مسلمون. وتقع البنغال على دلتا نهر الجانج فهي من أخصب بقاع الهند، وأهم محصولاتها الأرز والجوت، وعاصمة الولاية مدينة كلكتا وعدد سكانها مليونان فهي أعظم مدن الهند سكاناً وأهمها من الناحية الاقتصادية، كما أنها من أعظم نقط المواصلات الحديدية وتكاد تتركز فيها صناعة الخيش بيد أن معظم سكانها من الهندوس.

شرق البنغال تقع ولاية آسام ومساحتها ١٤٢ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها ملايين ثلثهم مسلمون. وهذه الولاية أهم مراكز الهند في زراعة الشاي كما أنها تنتج البنغال وآسام يتألف الشق الشرقي من الباكستان وعدد سكانه سبعون مليونا

٥١ر٤ ٪ منهم مسلمون ومساحته ٣٤٢ ألف كيلو متر مربع .

ولا يفوتنا أن نشير الى إمارة حيدر أباد في وسط الهند وهي أعظم إمارات الهند التي يحكمها أمراء وطنيون . فمساحتها ٢٤٤ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها يتجاوز الستة عشر مليوناً ويحكمها أمير مسلم يلقب بالنظام . بيد أن نسبة المسلمين من سكان الامارة ١٥ ٪ من مجموع السكان في حين أن نسبة الهندوس ٨٤ ٪ . وإمارة حيدر أباد هي الامارة الوحيدة التى لها نظامها النقدي الخاص ، ولقد أعلن أميرها أخيراً رغبته في اعلان استقلالها عن الهندوستان والباكستان على السواء .

* * *

تلك هي بعض الحقائق الاقتصادية والجغرافية عن توزيع المسلمين الأساسي في الهند رأينا إيراد ذكرها قبل أن نخوض في الحديث في الناحية السياسية لدولة الباكستان .

٢ — القومية الاسلامية في الهند

يبدأ تاريخ الاسلام في الهند في صدر الاسلام حين افتتح العرب المسلمون السند ثم فتح السلطان محمود بن سبكتكين (السلطان محمود الغزنوي) ملتان سنة ١٠٠٥ ميلادية واستمر في فتوحاته حتى عام ١٠٢٥ فافتتح جانباً كبيراً من السند وأخضع جانباً آخر عن طريق أداء الجزية له . واستمر كثير من خلفائه في الفتوحات حتى أصبحت سيادة السلطان المسلم بدلهي معترفاً بها من كافة سكان الهند وأمرائها . وتقلب سلطان المسلمين بين القوة والضعف فبلغوا غاية قوتهم في عصر بابر (مات عام ١٥٣٠) وأكبر (ومات عام ١٦٠٥) وأورنجزيب (١٦٥٩ — ١٧٠٧) وبعد ذلك ضعفت شوكة دولة المسلمين في الهند حتى قوّض الانجليز أركانها عام ١٨٥٧ بعد أن لبثت سيادة الاسلام السياسية أكثر من ثمانمئة وخمسين عاماً نخلعوا السلطان بهادر شاه وولوا الملكة فيكتوريا امبراطورة على الهند .

ولقد كان مركز المسلمين في الهند الشغل الشاغل لكثير من ملوكهم فيها . فانه وإن اعترف امراء الهندوس بسيادة السلطان المسلم في دلهي وارسالهم الجزية إليه ، إلاّ أن قوتهم السياسية ظلت حائلاً دون انتشار الاسلام بين رعاياهم فضلاً عن ان اضطراب أحوال الهند بتأثير الغزوات المنغولية والفارسية المختلفة والفتن الداخلية بين الحكام حدّت تقدم الاسلام الروحي كثيراً .

وكان يروع ملوك الهند الحصيفين انقسام بلادهم وتفرق كلمتها فابتكر السلطان أكبر لغة الاوردو وهي مزيج من الفارسية والعربية وبعض لغات الهند كي تحل محل لغات اله المختلفة واجتذاباً للهندوس ، وعمد الى الغاء الجزية ورحب بهم في الوظائف الع

على المساهمة في ادارة شئون البلاد حتى كان منهم الولاة والوزراء . بيد أن سياسة أكبر وان أفلحت في تهدئة أحوال الهند واشاعة الأمن في ربوعها، الا أنها لم تفلح في استئصال جذور الخلافات بين عناصر الهند المختلفة وفي القضاء على أسباب العداوة والبغضاء الكامنة في النفوس . والواقع أن الطائفية في الهند ليست مجرد دين ولكنها تعني هناك نظاماً يربط أفراد الطائفة الواحدة دينيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا . ونجد المجتمع الهندوسي ينقسم عدة طبقات ينفصل بعضها عن بعض وتعتبر الطبقة الأخيرة منها طبقة منبوذة ويلقب أفرادها بالأنجاس .

ومن ثمَّ بدت الطائفية في الهند في مظهر فذ . بيد أن حدتها لم تك طوال الحكم الاسلامي بالشدة التي هي عليها الآن . وبعد ثورة ١٨٥٧ وقد ساهم المسلمون فيها بالنصيب الأوفر أبعد المسلمون عن وظائف الدولة والمهن الفنية الحرة كالطب والمحاماة وبيعت كثير من أملاكهم فأدى هذا الى تقوية النفوذ الهندوسي في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعزز ذلك نفور المسلمين خلال القرن التاسع عشر من المدنية الأوربية فانتفع الهندوس بها .

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر بدأ المجتمع الاسلامي الهندي يفيق من سباته . في عام ١٨٧٥ أنشئت كلية عليكرة ثم تتابع انشاء المعاهد العلمية والصحف الاسلامية ، وتقدمت النهضة الاسلامية علميًّا واقتصاديًّا . وكان طبيعيًّا أن تتخذ الحركات السياسية في الهند مظهراً دينيًّا . فأقبل الشعراء المسلمون يتغنون بمجد الاسلام وعظمته والكتاب على انشاء المقالات وتأليف الكتب في تاريخ الاسلام والنظم الاسلامية . وتألفت الجمعيات المختلفة وعلى رأسها « جمعية الخلافة الاسلامية » برئاسة الشقيقين شوكت علي ومحمد علي . وأيدتها جماعة علماء الهند . وكانت تنحو كلها الى نصرة الاسلام وتعتبر مسلمي الهند جزءاً لا يتجزأ من مسلمي بقية العالم الاسلامي وبخاصة مسلمي الشرقين الأوسط والأدنى ، واتخذت الحركات السياسية الاسلامية مظهراً معادياً لبريطانيا بسبب موقفها من تركيا في الحرب العالمية الأولى ، وفي سنة ١٩٢٠ وافقت جمعية الخلافة على برنامج غاندي القاضي بعدم التعاون، وعقب ذلك وافق مؤتمر عقد بمدينة الله أباد ضم زعماء المسلمين والهندوس على ذلك البرنامج . وعزز هذا التقارب ما فرضته معاهدة سيفر على تركيا (١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠) من شروط فادحة . بيد أن ازالة الخلافة العثمانية قلل كثيراً من حماس جمعية الخلافة . ثم ء الخلاف بينها وبين غاندي وانقسامها فريقين انضم أحدهما إلى المؤتمر بزعامة مولانا م آزاد ، والثاني ظل على ولائه للجمعية وتبع ذلك الانقسام تجدد المنازعات

الطائفية وضعف شأن جمعية الخلافة لخلت محلها الى التعبير عن أماني مسلمي الهند وآرائهم « الرابطة الاسلامية » التي قامت على أسس جديدة تتفق وطبيعة النظام الطائفي في الهند وتهدف الى انشاء وطن اسلامي هندي .

* * *

في سنة ١٩٣٧ انتشرت فكرة الباكستان عن الوطن الاسلامي الهندي ، والكلمة مشتقة من الحروف الأولى للكلمات التالية : بنجاب — أفغان الحدود — كشمير — سند بلوخستان . وفي عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ أصدر مؤتمرا الرابطة بمدينتي لاهور ومدراس على التوالي ، قراراً بأن المسلمين يقاومون كل حل للمسألة الهندية لا يحقق فكرة الباكستان ، ولقد كان تجدد الاضطرابات الطائفية وأخذها شكلاً عنيفاً جداً بعد الحرب الأخيرة ، ما حدا بالحكومة البريطانية الى تقديم مشروع يعترف بتقسيم الهند دولتين : اتحاد الهند والباكستان . وقد قبلت طوائف الهند المختلفة المشروع البريطاني ، وفي ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٧ نودي بدولتي اتحاد الهند والباكستان وتتخذ الاجراءات الآن لتعيين حدود الدولتين وفصل المصالح المختلفة .

٣ — مشكلات تقسيم الهند

الباكستان دولة ذات شقين : الأول في الشمال الغربي ويشمل حوض نهر السند ، والثاني في الشمال الشرقي ويتضمن دلتا نهر الكانج والبراهما بوترا ، ومتوسط نسبة المسلمين في شقي الباكستان كما طالبت به الرابطة الاسلامية في مبدأ الأمر بـ ٥٦ ٪ من مجموع سكانهما وتشمل (وبفرض ضم كشمير اليها) ٦٦ ٪ من مسلمي الهند

ولما كانت نسبة الأقليات غير الاسلامية كبيرة تعوق اكساب هذه المناطق طابعاً اسلامياً مميزاً فقد رؤي فصل المناطق التي تحتوي على أكثرية غير اسلامية كلما أمكنت الأحوال الجغرافية والاقتصادية ذلك . وهذا ما نص عليه مشروع الحكومة البريطانية إذ قضى بتقسيم البنجاب والبنغال بين دولتي القارة الهندية . ويوافق المسلمون على فصل مقاطعة أمبالا حيث يكون المسلمون أقلية السكان ، وبذلك ترتفع نسبة المسلمين في البنجاب الى ٦٢٫٧ ٪ بدلاً من ٥٧٫١ ٪ أما الشق الشمالي الشرقي من الباكستان (أي البنغال وآسام) فيراد فصل مقاطعة بوردان حيث للهندوس الأغلبية الساحقة وبذلك ترتفع الأغلبية الاسلامية في البنغال إلى ٦٥ ٪ بدلاً من ٥٤ ٪

وتبدو مشكلة التقسيم واضحة من البيان الاحصائي التالي :

أولاً — عدد سكان الباكستان (كما طالبت به الرابطة من مبدأ الأمر)

	١٠٧ر٠٠٤ر٧٨٣	نسمة
منهم سكان مسلمون	٥٩ر١٠١ر٢٠٧	»
نسبتهم المئوية	٥٥ر٢٣	٪
المساحة	٣٤٨ر٣٣٧	ميلاً مربعاً

ثانياً — عدد سكان الباكستان (حيث توجد أغلبية اسلامية مطلقة) .

	٦٨ر٧٧٩ر٩٣٥	
عدد السكان المسلمين منهم	٤٩ر٣٩٥ر٠٣٠	
نسبتهم المئوية	٪ ٧١ر٨٢	
المساحة	٢٣١ر٦٣١	ميلاً مربعاً

مساحة المناطق المتنابذ عليها (شرق البنجاب وغرب البنغال ومعظم آسام)

	١١٦ر٧٠٦	ميلاً مربعاً
عدد سكانها	٣٨ر٢٢٤ر٨٤٨	نسمة
عدد السكان المسلمين منهم	٩ر٧٠٦ر١٧٧ — ٢٥ر٣٩ ٪	

عدد السكان المسلمين في الهند	٩٤ر٣٨٩ر٤٢٨	نسمة
تضم دولة الباكستان من مسلمي الهند	٥٢ ٪	
» » » (بفرض ضم كشمير)	٥٧ ٪	

ولقد اعترضت عمليـة تقسيم البنجاب والبنغال مشكلة المدن الثلاثة العظيمة : لاهور وأمرتسار في البنجاب ، وكلـكتا في البنغال . فالمدينتان الأوليـان أهم المراكز الحضرية في البنجاب . ولقد تمَّ الاتفاق على ترك لاهور للباكستان وضم امرتسار الى هندوستان باعتبارها ذات أهمية حيوية لطائفة السيخ فهي مدينتهم المقدسة . أما كلـكتا فهي أعظم مركز تجاري في الهند وأكبر موانيها ، وهي عاصمة طبيعية لولاية البنغال ومركز صناعة الجوت الذي تتركز زراعته في الباكستان الشرقي . بيد أن الأغلبية الساحقة من سكانها من الهندوس . ولقد تقرر ضمها الى الهندوستان مع ترك ميناء شيتاجونج في آسام للباكستان تقرر ضم معظم ولاية آسام الى اتحاد الهند ، وضم مقاطعة سلهيت الى الباكستان .

وستضم دولة الباكستان بشقيها (وبفرض ضم ولاية كشمير اليها) ٥٧ ٪ من مسلمي الهند فحسب ، وسيظل أكثر من اربعين مليون مسلم خارجها، بينما ستضم بين ظهرانيها حوالي الخمسة والعشرين مليوناً من الطوائف الأخرى

ولقد اقترح وقتاً ما نقل السكان من مناطق الى أخرى حلاً للمشكلة ولكن نشأت صعوبات جسيمة في مقدمتها العدد الهائل من السكان الذي تتبادله حركة النقل، كما أن السكان في المناطق المختلفة قد ألفوا أوضاعاً اقتصادية خاصة ، فمن المستحيل نقل سكان يشتغلون بالصناعة في هندوستان الى مناطق زراعية في باكستان ، أو سكان يعملون في صناعة القطن الى مناطق تصنع الخيش . وهذا ما حدا بالفريقين الى نبذ موضوع تبادل السكان بين الدولتين حلاً للمشكلة .

ومن المشاكل التي تقابل عملية التقسيم مسألة فصل المصالح العامة ووسائل المواصلات وبخاصة السكك الحديدية والمسائل الاقتصادية المختلفة مثل نظامي النقد والجمارك ومن الجدير بالذكر أن الشق الشمالي الغربي من الباكستان ينتج القطن والقمح وغيرهما من المواد الأولية في حين أن مصانع القطن تقع في الهندوستان . ومثل ذلك يقال عن الشق الشرقي من الباكستان الذي ينتج الجوت في حين أن مصانع الخيش تقع في كلكتا .

ويحول دون اتصال شقي الباكستان مملكة نيبال ووقوع ولايتي بيهار والأقاليم المتحدة حيث أكثرية السكان من غير المسلمين . ومن أهداف الباكستان التي صرح بها السيد محمد علي جناح الحصول على ممر يصل بين شقي الباكستان .

ومهما يكن من أمر صعوبات التقسيم فلا يختلف اثنان في أن من ثماره استتباب السلام في ربوع الهند بل آسيا والعالم . فان في الهند أمتين متميزتين في الجنس والدين وفلسفة الحياة والعقلية . ولقد بسط السيد محمد علي جناح سياسة الباكستان . ومما قاله :

« ينبغي أن تكون العلاقات بين الباكستان والهندوستان ودية وتبادلية وستكون حكومة الباكستان حكومة شعبية ممثلة لجميع العناصر كما ستسعى الى الانضمام الى عضوية الأمم المتحدة » . ورحب في حديث آخر بالتعاون بين باكستان ودول الشرق الأوسط وبخاصة مصر . ولقد كانت مصر أول الدول في الاعتراف بدولتي الباكستان واتحاد الهند وقررت تبادل التمثيل السياسي معهما على أن تنشأ سفارتان ملكيتان في كل من الدولتين .

فؤاد محمد شبل

شفاؤك عيد

تهنئة بشفاء جلالة مليك الوادى

لشاعر الاقطار العربية خليل مطران بك

شفاؤكَ عيدٌ به نسعدُ   ونحمَدُ للهِ ما نحمدُ
وشعبكَ بعدَ ضَراعاتهِ   لخالقهِ شاكراً يَسجُدُ
لربكَ عندكَ في كلِّ يومٍ   يدٌ يا مَليكي تَليها يد
عِنايةُ مولىً خليقٌ بها   أبرُّ أولي الأمرِ والأجودُ
بلادُ العروبةِ بالتهنئا   ت يجاوِبُ أقربَها الأبعَدُ
ولمَ تكُ إلاَّ على حبِّها   لفاروق يجمعُها مقصِدُ
لقَد أمنتْ دَهرَها إذ نَهضتَ وعَزمُكَ والحزْمُ ما تَعْهدُ
تَصونُ ملوكٌ كَراماتها   وأنتَ لها الصائِنُ الأيِّدُ
وتَقضي شعوبٌ كِبارَ المنَى   وأنتَ المؤازِرُ والمسعِدُ
فرأيكَ مَوئلُها المطمئن   وبأسُكَ مَعقِلها الأوطَدُ
أمولايَ أرفعُ آيَ الولا   ءِ وقَلبيَ يسطُرها لا اليدُ
إذا أنضَبتْ عللٌ مَوردي   فمِنْ منبعِ الفخرِ لي موردُ
أليسَتْ فِعالكَ في كلِّ ما   يُعزُّ بلادَكَ لا تَنفَدُ
وكَمْ لكَ فَتحٌ جديدٌ بهِ   تبارَى نُبوغُكَ والسؤدَدُ
فدُمْ للكنانةِ . دم لِلعُروبةِ   وليرعَكَ الأحدُ السرمدُ

خليل مطران

من نظرات لاروشفوكولد

٢ - نظرات في النفس والحياة

١ — ما كانت الفضائل تستطيع أن تغزو لها مكاناً في العالم كما غزت لولا إنها كثيراً ما تكون ممزوجة في أنفس أصحابها بشيء من الاعجاب بالنفس يذيع دعوتها ويعلن عن شأنها ويكافح من أجلها وأجل أصحابها — وقد يختلط الاعجاب بالنفس بالاعجاب بتلك الفضائل ، فهو وإن كان يهيء لها جنداً وأعواناً ، إلاّ انه كثيراً ما ينقص من طهارتها ، وكمال نبلها، أو قد يقضي عليها بما يدعو إليه الاعجاب بالنفس من شرور الأثرة . فالمرء قد يرتكب الجرائم ويؤذي من خالفه لأنه يعد مخالفه أو عدوه مخالفاً وعدواً للفضيلة ومناصره مناصراً لها ، وإن قلّ حظه منها .

٢ — إذا أسفنا لِنَبْوةِ مَنْ نَبا عنا فاننا قلما نأسف لافتقاد المتْعَةِ بعقله وأدبه بل كثيراً ما نأسف لأننا فقدنا بفقده رمزاً يدل الناس على ثقة بعض الناس بنا وحسن رأيهم في عشرتنا ورغبتهم في أن يكونوا معنا — فنَعتزّ بالأصدقاء في أعين الناس ونزيد بهم قدراً وجاهاً : أي أن الأسف لِنَبْوةِ صديق أساسها الأثرة وحب النفس — ولكن هذا الأساس لا يمنع من أن تكون الفضيلة فضيلة فكثيراً ما يختلط الايثار بالأثرة في النفس حتى عُدّ مظهراً من مظاهرها إذ أن النفس تنشد في الايثار شيئاً يرضيها ويريحها بالرغم مما تتكلفه بسببه ، وما يرضيها ويريحها منفعة لها وإن كانت مطلباً نبيلاً .

٣ — في بعض الحالات يخالف المرء منهاج حياته ونفسه كما يخالف غيره من الناس ، وذلك لتعدد نزعات النفس المتغايرة الخفية ، ولكن الناس كثيراً ما يحكمون على المرء أنه يسير على وتيرة واحدة وطبع لا يخالفه طبع وصفة لا تغايرها صفة ، وقلما يدركون تغيره وخلافه لنفسه إلاّ اذا تغيروا له وكان لهم مأرب في تغيير حكمهم عليه فاذا حدث ذلك ربما اتهموه بمخادعتهم وربما كانوا هم الذين خدعوا أنفسهم به وسواء أفطنوا الى أنهم هم الذين خدعوا أنفسهم أم لم يفطنوا فإنهم قد يحملونه جريرة قصر نظرهم أو خداعهم لأنفسهم طوعاً فيتضاعف ذنبه لديهم . وقد يكونون معذورين في انخداعهم لأن الحياة تفرض التجانس في صفات النفس الواحدة كي يسهل فهمها ومعاشرتها . حتى أن الصفات المتناقضة قد يكون بينها شيء من التشابه والانسجام والتجانس ما دامت في النفس الواحدة .

٤ — في بعض الأحايين يفضّل المرء أن يُحرَمَ من أن يُنْسب إليه خير صنعه عن أن يعرف الناس الأسباب الحقيقية التي دعته الى عمل ذلك الخير، فيظهر من الأسباب غير ما يبطن

٥ — لعلَّ أعظم النجاح في المهارة التي بها يقنع الماهر الناس إنهم لا يستطيعون ضرره من غير أن يصيبهم ضرر فيهابونه ويتجنبون أذاه، وقد يسعون فيما ينفعه هيبة واتقاءً لشره — ولكن لا يستطيع كل إنسان إقناع الناس على هذه الطريقة، بل إنها قد تكون عاقبتها وخيمة لمن لا يتقنها ومن لا يعرف أساليبها ودهاءها ومستلزماتها. لأنه إذا خاب ولم يقنعهم أو إذا رأوا أنهم يستطيعون ان يقضوا عليه وعلى وسائله بأن يبادروه بالعداء بادروه به وحاولوا القضاء عليه وقد يفعلون. فإذاً ليس من الكياسة ان يحسب المرء إظهاره العداء للناس أو تهديدهم كافياً لنيل احترامهم وهيبتهم إياه.

٦ — من العيوب ما يمتزج بفضائل بعض الناس كما تمتزج العقاقير السامة في الأدوية بمقادير لا تسم، على انه لو حاول المرء وتعمد مزج فضله بعيوبه السامة قضى على فضله وفضيلته. إلاَّ ان الحياة نفسها قد تخرج من الشر خيراً، كما ان بعض الخير قد يكون من عواقبه الشر.

٧ — من الصعب ان يحب إنسان إنساناً تجرد من كل دواعي الاحترام. ومن الصعب ان يحب إنسان إنساناً بَذَّهُ وشَآهُ. فالنفس تأبى في أكثر الأحايين ان تحب من تجرد من كل دواعي الاحترام ومؤهلاته. ولكن إثرتها تأبى ان تحب من تستصغر أمرها وتزدري شأنها عند استجلاء عظمته وعلو شأنه وان كانت تحترمه سراً أو علانية ولكن الحالات الشاذة قد توجد في الأمرين.

٨ — من الصعب ان تحترم النفس من لا خير له ولا شر.

٩ — كثيرٌ من الناس عدُّوا من العظماء بالرغم من شرهم الكثير — وهذا يذكرنا قول هنري هين الشاعر الألماني « ان شجرة الانسانية قلما تذكّر بالزارع الذي سقاها ورعاها وإنما تذكّر بالعادي الذي حفر اسمه على جذعها بمديته » — نعم ان سِيَرَ العظماء الذين شكلوا حوادث التاريخ والأمم ونشروا الحضارات كان يمازجها شر كثير مُسْرف. وهذا مشاهد في حياة أمثال الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر ونابليون بونابرت. ولكن اذا كان الناس في بعض البيئات يرفعون المجرمين الذين يعبثون بالأمن الى مراتب البطولة فلا غرو ان يفعل الناس ذلك مع من صهروا الناس بنار حروبهم وأنزلوا بهم شراً كثيراً اذا كانت عاقبة ذلك نشر الحضارات والآراء.

١٠ — ان العظماء لا يمتازون عن غيرهم من الناس بعظم فضائلهم وانما يمتازون عنهم ما يعملون وما يقولون — وهذه النظرة تفسّر السابقة. وليس معناها ان العظماء أقل

فضائل ، وإنما يعني أن الناس تتوقع خلوّهم من النقص خلوًّا تامًّا بسبب ما يبهرهم من آيات عظمتهم . أو أنهم يريدون توريطهم بمطالبتهم بتلك العصمة أو ان بروزهم مما يبرز نقصهم . أو ان ما يزاولون من عمل الخير ربما جرّ شرًّا ونقصاً .

من نظرات ليوباردي

١ — المكر وهو من جهود العقل والذكاء قد يلجأ اليه الماكر كي يخفي نقص عقله وذكائه وذكاء المكر هذا كثيراً ما يلجأ اليه الناس في البيئات التي حال فساد الحكام فيها دهراً طويلاً دون تعهد العقل بالتربية والتثقيف فترى فيهم الجهل وقلة النمو الفكري والسذاجة وشيئاً من الغباء ، ومع ذلك ترى أيضاً نوعاً من ذكاء المكر تعوضهم به الحياة عما فقدوه .

٢ — في بعض البيئات التي بين الحضارة والهمجية إذا كان الرجل فقيراً جدًّا احتقره في سريرتهم من هم أحسن منه حالاً من الناس حتى يكاد يسقط وينزل في نظرهم عن مرتبة الانسان. واذا كان غنيًّا لم يكن آمناً على حياته بسبب الحسد والرغبة فيما عنده — وهذا صحيح في البيئات التي يثري فيها المرء باستخدام قوته أو احتياله أو سلاحه ويفاخر باستخدامها جميعاً . وفي هذه البيئات يحتقر الناس من يجبن عن استخدام القوة أو السلاح أو الحيلة لدفع عادية الفقر الشديد وكما يحتقرون مثل هذا الفقير فانهم يجلون المجرم العابث بالأمن حتى انهم قد يلبسوه صفات البطولة والعظمة وكثيراً ما تتم هذه الصفات حيث لا يجد المرء فرصة لنيل ما يستحق بسبب المحاباة والظلم والرشوة واحتيال الحكام لتسخير أداة الحكم في أغراضهم وقد تكون هذه الصفات بسبب آثار حكم مضى وعهد سابق وأحوال في الحكم انقضت . وقد يكون العهد السابق والحكم الغابر قد خلف في نفوس الحكام والمحكومين خصالاً مستعصية باقية .

٣ — في بعض الأحايين يمدحنا مادح بسبب أعمال أو صفات طالما ذممناها في غيرنا فنسرع الى مدح تلك الأعمال والصفات — ويحجم المرء عن المآثم والنقائص اذا خاف لوم الناس أو بغضهم أو ذمهم أو عقابهم فاذا وجدهم يمدحون تلك المآثم والنقائص ويحبذونها ويزينونها أقدم عليها غير هياب ولا وجل . وهذا لا يمنعه من مؤاخذة غيره عن ما يفعل مثله اذا وجد لنفسه فائدة ولكنه يحاول أن يفرق بين عمله وعمل غيره وان لم يكن بينهما فرق

٤ — أكثر ذوي الفضل كانوا على بساطة في السلوك والعادات . ولكن من الغريب أن الناس تعد تلك البساطة دليلاً على قلة الفضل والعقل — وذلك اما لأن تلك البساطة تشابه في أذهانهم صفات الطفولة أو البلاهة وإما لأن البساطة تنافي التكلف لهم الذي يغري بالظهور بالمظهر الذي يرضي رغباتهم وفوائدهم . وهذا التكلف لهم منبعه مكر الاباقة الذي

أعظم مظاهر العقل ومزاياه لأنه يحوطهم بما يشاءون وكل هذا التكلف قد يخالف بساطة العظماء ومن أجل ذلك يعدها الناس نقصاً في الفضل والعقل .

٥ — مهما بلغ المرء من اشمئزازه من الدنيا وأحوالها بعد اختبارها فانها لو أومضت له وابتسمت ودعته اليها لبَّاها وصالحها وابتسم لها بعد العبوس ورجع الى الائتناس بها ولو بعض الرجوع . وكذلك حاله مع من يتودد اليه ممن اختبرهم وساء رأيه فيهم فاذا لم يعد لعشرتهم اذا توددوا له قل سوء رأيه فيهم .

٦ — يحسب المرء أنه إذا خاب حزن أصدقاؤه ومعاشروه لخيبته واذا نجح فرحوا بنجاحه . ولو كُشِفَ له عن مكنون سرّهم لوجد فيه عكس ذلك في كثير من الأحايين — أو على الأقل يجد بجانب الأسف لخيبته شعوراً بالمسَرّة يخالطه مخالطة النقيض للنقيض وبجانب السرور لنجاحه شعوراً بالامتعاض والاستخذاء يناقضه ولكنه يخالطه وقد يجد ذلك حتى عند أقاربه وعند من ينتفع بنجاحه ويخسر بخيبته من الناس . لأن النفس لا تستطيع أن تتغلب على أثَرَتها كل التغلب وان تغلبت على بعضها .

٧ — أكثر الناس لا يخجلون من الأذى الذي يصنعونه للناس وإنما يخجلون من الأذى الذي يصنعه بهم غيرهم لأنه ينقص من أقدارهم لدى أنفسهم — أما إذا خشي المرء ان يخجل إذا ظلم غيره فانه يعمل على ان يُشْرِكَ الناس في ظلم المظلوم فاذا نجح في حمل الناس على مشاركته في ظلم المظلوم أمن من الخجل ومن تأنيب الضمير . ولقد كان الطغاة قديماً يتخذون من الناس رجلاً يكون اداة لتنفيذ ظلمهم حتى إذا لم يعد صالحاً لتنفيذه قضوا عليه واتخذوا غيره وبذلك ينالون أغراضهم كما ينالون حمد الناس إذا بطشوا بأداة ظلمهم .

٨ — الدنيا كالمرأة الجميلة المعشوقة لا ينال الفتى لديها حظوة بالخجل والحياء فمن أراد ان يعلو حظه وجب عليه أن يُوَدِّع الحياء وان يكون لسانه بوقاً يدعو الناس الى الاعتراف بمزاياه الحقيقية أو المزعومة أو ان يجد أناساً لهم رغبة وفائدة في ان يكونوا أبواقاً له . أما اذا انتظر حتى يسرع الناس للبحث عن فضله واعلانه فانه لن يرى إلاَّ مَنْ يُسْرِعُ الى إخفائه .

٩ — لو حُوسِبَ كل إنسان على ما يقوله في غيبة أصدقائه لما رضي ان يقولوا فيه مثل ما قال فيهم — فانه مهما كان مخلصاً لهم لا يسلم لسانه من سقطات في غيبتهم لا ترضيهم . وهو بالرغم من ذلك يُدْهَش اذا بلغه ان أحدهم قال فيه مثل ما قال فيهم ويَعُدُّ نفسه مظلوماً لا يجد جزاء اخلاصه وسلامته لهم في غيبتهم .

١٠ — قلما يكون البعيد عن الناس القليل الاختلاط بهم مسيئاً الظن بهم إلاَّ اذا كانت [illegible] بعد المخالطة . فليس أسوأ رأي في الناس مما يرسخ في النفس بقراءة الكتب التي تعلم

سوء الظن بالناس وانما يكون هذا المقتَبَسُ من الكتب كلاماً غير راسخ في النفس لأن العشرة هي التي تُفَطِّن الى سوء الرأي في الناس بسبب مرارة اختبارهم — وليس أشد الناس سوء ظن بهم المعجب بنفسه وليس من الحتم اجتماع الاعجاب بالنفس وسوء الظن بالناس فاننا قد نرى الرجل الشديد الاعجاب بنفسه عظيم الثقة بها وثقته بنفسه قد تدعوه الى حسن الظن والرأي، فيحسب ان الناس يعجبون بنفسه كما يُعجَبُ فينشرح صدره للعطف عليهم ولا سيما ان ذلك العطف يتفق وما في نفسه من العظمة المزعومة التي تقضي ان يشمل الناس ببركات خيرها . واذا ظهر منه غير ذلك من سوء الرأي في الناس كان سحابة صيف عن قليل تنقشع .

من نظرات شوبنهور

١ — مما يجعل الانسان غير مُبالٍ تعاسة التعساء ولا آبهٍ لها أنه يعتقد في نفسه العجز عن تحمل متاعب أكثر من متاعبه . ومن أجل ذلك اذا حسن حال إنسان بعد ضيق وبؤس فقد يعطف على أهل البؤس إمّا سروراً بنجاته من مثل حالهم وإما خشية أن يعاوده البؤس فهو يرحم نفسه اذ يرحمهم . وأما الذين لم يصادفوا في حياتهم بؤساً فانهم كثيراً ما ينصرفون عن العطف على أهل البؤس لأنهم يرون أنفسهم بمأمن من غوائله فلا يستطيعون أن يضعوا أنفسهم مكانهم — على أنهم لو حاولوا وضع أنفسهم مكان أهل البؤس لنفروا من هذه المحاولة وتأففوا وامتعضوا . ومن الجائز أن النعيم يضعفهم فيريدون أن يتجاهلوا ما يؤذي سمعهم وبصرهم من مناظر البؤس . على أن الكفاح للخروج من الضيق ، اذا نجح، قد يُعوِّدُ بعض الناس برودة الطبع والقسوة إذ يعد كل معاملة للناس قتالاً كالذي تعوّده في الكفاح ويرى أن الحياة معركة لا يظفر بالنصر فيها من يترك القتال كي يضمد جروح الجرحى . فينسيه هذا الرأي فائدة التعاون .

٢ — قد يكون سبب سعادة الانسان ونجاحه في الحياة أن له ابتسامة سارة يبتهج الرائي عند رؤيتها وينشرح صدره فيعطف على صاحبها ويصنع له كل خير يريده . وقد يحسب الرائي بهجة هذه الابتسامة وحلاوتها من طيبة قلب صاحبها واستقامته وسلامة صدره من الشر والأذى والاحقاد وهي قد تكون كذلك وقد لا تكون — إذ ربما كانت من تكوين الوجه وشكل خلقته من غير حقيقة خُلُقيّة خلف ذلك التكوين أو قد تكون من لباقة المخادع الماهر في إخفاء سريرته — فينبغي لمن يغتر كل الاغترار بمثل هذه الابتسامة أن يتذكر قول شكسبير في قصة هامليت « قد يُكثرُ المرء من الابتسام وهو وغد » .. ولكن من ذا الذي لا يغبط صاحب هذه الابتسامة التي هي مفتاح القلوب والخير :

٣ — بعض ذوي الكفاية العظيمة في أمور الحياة أو العبقرية لا يحاولون اخفاء عيوبهم ولا سيما اذا كانت من الاخطاء أو العيوب التي يعدها الناس بالحق أو الباطل من لوازم تلك الكفاية العظيمة ودليل عليها . وهم لا يحاولون إخفاء عيوبهم أو أخطائهم لأنهم يرون أنهم قد أدَّوا ثمنها من كفايتهم . وبالعكس نرى بعض من عدموا الكفاية النادرة وإن كان لا بأس بهم يحاولون الظهور بمظهر العصمة ويتألمون ويتملكهم الغيظ اذا ظهرت أخطاؤهم ويحاولون أن يقنعوا الناس أنهم معصومون . وما ذلك إلاّ لأنهم ليس لهم فضل عظيم نادر من أجله تغتفر سيئاتهم — بالرغم من ميل الناس إلى التشفي من أهل الفضل بنسبة النقص إليهم — فمزية من لا فضل له لا تتحقق لدى الناس إلاّ إذا خلا من الأخطاء. وقد تبالغ كل طائفة في خطتها فالطائفة الأولى في رفع الكلفة والطائفة الثانية في استخدام كل وسيلة مهما كانت ظالمة لاثبات خلوها من العيوب ونقلها الى غيرها : وهناك طائفة ثالثة هي من أهل العجز يحاكى آحادها ما يحسبون أنه من عيوب ذوي الكفاية كي يُسلَكوا في زمرتهم ويعدُّوا منهم .

٤ — من الجائز أن يحزن إنسان لموت خصم او منافس أو عدوّ حزناً كثيراً اذا افتقد ذلك الانسان خصمه الميت عند النجاح والظفر فيود لو كان حيًّا كي يرى كيف ظفر في الحياة بعده بالنجاح والسعادة ولم يظفر الميت . وهذا نوع من الحقد والتشفّي من الميت يكون عند ذوي النفوس الدنيئة .

٥ — رغبة الانسان في أن يظل شهيراً بعد موته انما هي مظهر من مظاهر حب هذه الحياة الدنيا .

٦ — اذا غالى الناس في اعتناق رأي أو مبدأ أو مذهب فلا بد أن يعودوا في المغالاة الى ضده حتى تستقر حياتهم بين الطرفين وانما مثلهم في الذبذبة مثل رقاص الساعة .

٧ — كل فضيلة من الفضائل لها رذيلة من نوعها وكل رذيلة لها فضيلة من نوعها . ومن أجل ذلك كثيراً ما نخطىء في الحكم على الناس فقد ننسب الى انسان الفضيلة التي هي من نوع رذيلته أو الرذيلة التي هي من نوع فضيلته فيظنُّ الحازم المتأني جباناً والمقتصد المدبر بخيلاً والمبذر المتلاف سخيًّا كريماً وسيء الأدب صريحاً مستقيماً والأحمق متحلياً بفضيلة الثقة بالنفس الخ .

٨ — كثير ممن يجهلون عظم منزلة الانسان في العالم بسبب فضائله وعقله يشتطون في القسوة في الحكم اذا حكموا وفي معاملة آحاد الناس إذ يطالبونهم بما يناسب عظم منزلة الانسان التي أساسها الفضائل والعقل . ولكن الفضائل كثيراً ما تخذل الانسان ولا تؤاتيه والعقل كثيراً

ما يسخف أو يخطىء أو يسهو فعظم منزلة الانسان في الكون بسبب ما هو معرض له في حياته من آلام ومصائب وعذاب وجهازه العصبي أرق من جهاز غيره من الحيوانات فهو مرهف الحس وله خيال يصور له آلامه وعقل يشغل بها. فاذا عاشرت انساناً لا تنظر الى ما في إرادته من شر وما في عقله من قصور وما في آرائه من سخف أو هوى فانك ان فعلت ذلك كرهته أو احتقرته بل انظر الى آلامه من واقع ومنظور والى حاجاته وتعبه في الحصول عليها والى بواعث القلق في حياته فان من يتحمل كل ذلك خليق بالعطف والمحبة والاعظام .

٩ — قصور العقل وسوء الخلق أمران مختلفان قد يجتمعان وقد لا يجتمعان . ولكن قصور العقل قد يساعد على افشاء رذائل صاحبه فتحسب انها ناشئة منه . فالغباء كثيراً ما يظهر دناءة صاحبه وشره بينما العاقل الحازم قد يدرك وسائل اخفاء شره ويستطيعها فيحسب انه خالٍ من الرذائل وان العقل وحسن الخلق متلازمان أبداً . كذلك سوء الطبع قد يستهوي صاحبه فيمنعه من ادراك الحقائق التي لولا سوء خلقه وطبعه لاتضحت لعقله وقد تتضح في حالات دون حالات .

١٠ — كل حيوان لا يقسو الاّ ليأكل أو للدفاع عن نفسه . أما الانسان فانه قد يقسو من غير داعٍ الاّ التلذذ بالقسوة فهو كما سماه العلامة جوبينو صاحب كتاب الاجناس البشرية « الحيوان الذي بذّ كل الحيوانات في خبث طبعه وشره » واذا وجد حيوان يقتل أكثر مما يأكل، فما ذلك الاّ كما يقول الفرنسيون في أمثالهم عينه أكبر من معدته — فالانسان قد يقسو من غير فائدة لنفسه إلاّ التلذذ بالقسوة. وقد يبلغ هذا التلذذ مرتبة الجنون وكثيراً ما نسمع عن حوادث تعذيب ترتكبه حتى بعض الأسر المحترمة في عهد الحضارة والثقافة . وكأن شهوة القسوة تفرز في جسم الانسان سماً زعافاً يتجمع كسم الأفعوان وينتهز أقل سبب وأصغر فرصة كي يُؤْذِي به بعض الناس أو الحيوانات . ولعل التلذذ بقسوة الالفاظ المؤلمة والنظرات التي تنم عن القسوة وبالدسائس والمكائد كلها أنواع من التلذذ بالقسوة هي عرض سيكولوجي مما كان يصنعه الانسان في أيام الهمجية بأعدائه وأسراه وعبيده تلذذاً بالقسوة لأجل القسوة سراً وعلانية من غير رادع . ومن العجيب ان بعض المرضى بمرض نفسي أو عقلي يلتذون ألم قسوة غيرهم بهم . وما دام الانسان يقتتل على الحياة وهو رقيق الجهاز العصبي وذو خيال وعقل فلا سبيل الى محو طبع التلذذ بالقسوة كل المحو — إلاّ إذا أسعف طبُّ الغُدَد الحديث — وربما كان تلذذ الانسان بالقسوة لشدة فرحه بأن الالم نال غيره ولم ينله . فهي نوع من الجبن أو وسيلة للنجاة من الخوف على النفس .

ع . ش

أمراض العيون

- ٢ -

الدفتريا الرمدية

﴿ الرمد الدفتيري ﴾ من المعلوم أنّ مرض الدفتيريا من الأمراض التي عني بها رجال الطب عناية كبيرة أدّت الى سنّ قانون لتطعيم الأطفال إجباريًا في سن الطفولة للوقاية.

وكما أنّ هذا المرض يصيب الحلق فإنه كذلك يصيب العين والأنف ويسمى في هذه الحالة بإسم: « الرمد الدفتيري » وهو نوع من أنواع الرمد ينشأ عن ميكروب الدفتيريا، مثله في ذلك مثل الرمد الصديدي إلاّ أنه أشدُ فتكاً منه في بعض الحالات ويكون مصحوباً بغشاء فوق الجفون، وفوق غشاء الأنف — وهو عينه الذي يصيب اللوزتين والحلق — ويكون مصحوباً بارتفاع في درجة حرارة الجسم بين ٣٨ و٥ر٣٩ وغالباً ما تصل الدرجة الى الأربعين.

وعلاج هذا النوع من الرمد يتوقف على التشخيص نفسه فيحقن المريض بكمية كبيرة من المصل تبعاً لشدة المرض لا تبعاً لسن المريض.

وليس من الضروري أن تكون نتيجة التحليل إيجابية بل ينظر الى المشاهدات الاكلينكية، لأن ميكروب الدفتيريا يندر ايجاده من تغلب ميكروبات أخرى موجودة معه في العين أو في الحاق فتظهر تلك الميكروبات في التحليل ولا يظهر ميكروب الدفتيريا.

* * *

وأذكر بهذه المناسبة نوعاً من هذا الرمد الدفتيري ظهرت أعراضه في مستشفى الرمد بأسيوط عام ١٩٢٢ وكنت وقتئذٍ الطبيب الأول بالمستشفى.

فكيف حدث؟ وكيف شاهدنا المرض وعالجناه بالسرعة الواجبة قبل أن يستفحل

والمعلوم أنَّ الرمد الدفتيري في مستشفيات الرمد له نظام خاص فيعزل المرضى به في جناح خاص من المستشفى ويصرف لكل مريض وعاء خاص به «غسيل» فيتولى هو او اهله الغسيل بارشاد الطبيب ويتولى الطبيب الأول علاجهم ويكشف عنهم كل يومين أو ثلاثة حسب مقتضيات ظروف عمله بالمستشفى ويتولى الطبيب الثاني العلاج في الأيام الأخرى .

وذات يوم بينما كنت أفحص وأعالج الأطفال المرضى في ذلك القسم اشتبهت في طفلين علا على أعينهم غشاء يشبه غشاء الدفتيريا فأخذت من كلٍّ عينة وبعثت بها للتحليل في معامل الصحة بالقاهرة وعزلت الطفلين بعيداً عن سائر المرضى فكانت نتيجة التحليل إيجابية ، أعني أنَّ صاحبي هذا الرمد مصابان بالرمد الدفتيري ، فأسرعت وفحصت عيون سائر المرضى فوجدت بينهم ثلاثة مصابين بنفس المرض .

وهنا لم أجد بدًّا من أن أتولى علاج المرضى بنفسي بعد عزلهم وأبرقت لولاة الأمور في وزارة الصحة بشأن هذا المرض في ذلك المستشفى وطلبت الخيام اللازمة لعزل المرضى فتم ذلك في يومين وتمكنت من وقف سير المرض وانتشار العدوى اذ حصرت المرض في عدد من المرضى بلغ مجموعهم ٣٨ طفلاً بينهم خمسة كانت حالتهم شديدة (أي أن إصابتهم كانت بدفتيريا مصحوبة بغرغرينة في الحجاج) ورغم العناية بالعلاج والحقن بالمصل ضد هذا الوباء وبالغسيل وبالمس وسواهما فان الوباء كان شديد الفتك وكانت نتيجته أن بعضهم فقد بصر العين وتوفى البعض الآخر

ومن أجل ذلك بادرت وزارة الصحة فندبت أحد رجالها لفحص عينات ذلك المرض محليًّا (أي في أسيوط) وذلك بتحليل الغشاء بكتيريولوجياً حتى لا يضيع الوقت في ارسال العينات الى القاهرة للتحليل وانتظار معرفة النتيجة .

***

فهذا المرض — كما قلنا — يصيب ميكروبه العين والحلق والأنف ، وأحياناً تكون نتيجته ايجابية في العين والحلق والانف وأحياناً تكون في العين والحلق وحدهما كما تكون في الحلق دون العين ، أو في العين وحدها .

سئلت ذات مرة في أحد الاجتماعات الطبية العامة عن ذلك المرض وكان نص السؤال هو

« هل الميكروب الذي يصيب العين هو نفس الميـكروب الذي يصيب الحلق والأنف »
فأجبت : نعم ، أن الميكروب هو ميكروب الدفتريا في العين والحلق

وقد تأتي العدوى من مريض بالدفتيريا الحلقية أو من دفتيريا في الأنف كما قد يصاب مريض في حلقه من مريض بعينه أو بأنفه . والدليل على ذلك انني في ذلك العام (١٩٢٢) دعيت لعـلاج طفـل علاجاً خاصًـا في منزله (وكان والده من الأثرياء) كان مصاباً برمد صديدي فلما فحصت عين الطفل المريض تبين لي أنه مصاب برمد دفتيري لا برمد صديدي عادي (لأن الرمد الدفتيري شبيـه بالرمد الصـديدي فتتورم الجفون وتحمر المقلة الا أن الرمد الدفتيري يزيد الورم فيه أحياناً ويكون شديداً) فبادرت بحقن الطفل بالمصل اللازم وأسعفته بالعلاج وجئت له بممرضة خاصة تقوم على خدمته والعناية به ، ولـكن أمه أبت أن تترك لتلك الممرضة وحدها الاشراف عليـه لأنه كان وحيدها إذ قد فقـدت ثاني أولادها من سنتين ، وهنا كانت الطامـة الـكبرى إذ مرضت الأم بحلقها بعد شفاء ولدها من الرمد الدفتيري ولما شخص الطبيب مرضها بأنه عبارة عن التهاب بسيط في الحلق خالفته في رأيه وطلبت معالجتها بالحقن ضد الدفتيريا فأهملوا مشورتي . ولمـا اشتد المرض على تلك السيدة بعد يومين أو ثلاثة عاد أهلها الى التفكير فيما نبهت أنا اليه ولـكن العلاج جاء متأخراً وقضت السيدة الى رحمة الله نتيجة عدواها بالدفتيريا من رمد دفتيري .

والدفتيريا الرمدية تصيب الأطفال من سن الثانية الى الخامسة ، وقد تسبب فقد البصر والوفاة كما سنبين فيما بعد

* * *

تـكلمنا فيما تقـدّم عن الدفتريا الرمدية وبينا أنهـا تنشأ من الميكروب الذي أطلق عليه إسم كليب لوفر باسيلس نسبة الى مكتشفيه البروفسور الأستاذ كليب (Kleb) والأستاذ (لوفلر) (Lofler)

وهذا الميكروب يوجد في الغشـاء المخاطي للجفون وفي الأنف والحلق (في ثنايا اللوز والحلق) فيفرز مادة سامة تسمى توكسين (Toxin) تدخل الأوعية اللمفاوية وتسبب

ضرراً كبيراً ، والسم الذي يفرزه هذا الميكروب ينتشر في الجسم فيسمه ويقضي على حياة صاحبه .

ويأتي هذا التسمم من مادة التوكسين المشار إليها متى ملأت الأوعية اللمفاوية فتتأثر الكلى تأثراً بالغاً في بعض الاحيان ويتعطل افرازها للبول وهنا يحدث التسمم .

كما تؤثر تلك المادة السامة على القلب فتضعفه الى درجةٍ كبيرة فلا يقوى على تأدية وظيفته . وتحدث الوفاة من هبوط القلب .

وفي حالات أخرى يكون التأثير على المخ .

وقد يحصل شلل في البلعوم (الحلقوم) فترجع جميع السوائل من الأنف .

كما يحدث شلل في عضلات تكييف الأبصار فيضعف البصر .

أسباب العدوى

وترجع أسباب العدوى من هذا المرض الخبيث الى الحالات التالية وهي :

١ — اللمس

٢ — الذباب

٣ — السعال (الكحة) : فينتقل الميكروب اثناء السعال من حلق المريض الى الطفل الموجود أمامه

٤ — حامل الميكروب

فالميكروب ينتقل من الجسم المريض الى الجسم السليم في احدى تلك الحالات ولا سيما أن المريض بدفتيريا الأنف تكون درجة حرارته طبيعية ولا يظهر عليه مرض من الأمراض ولكن ميكروب مرضه هذا الكامن في نفسه ينتقل بواسطة افرازه من أنفه الى حلقه أو الى عينه فاذا اتصل بالحلق سبب دفتيريا الحلق ، كما يسبب دفتيريا الرمد اذا اتصل بالعين . وفي كلتا الحالتين ترتفع درجة الحرارة . ولذلك يجب حقن المريض بمصل الدفتيريا حالاً عند الاشتباه ولا ضرر منها كما يعتقد بعض الناس .

الوقاية

وللوقاية من هذا المرض — ولا سيما عند الأطفال لأنهم أكثر من غيرهم تعرضاً للإصابة بهذا المرض — يجب حقن جميع الأطفال ثلاث حقن وقائية عقب ولادتهم . وقد فرضت وزارة الصحة ذلك فرضاً إجبارياً .

فكان لحقن الأطفال في طفولتهم أثر كبير في قلة اصابتهم ووقايتهم من هذا المرض .

وليس لهذا الوباء موعد محدد خلال السنة فالاصابة به تحدث صيفاً وشتاءً على السواء غير أنه اذا ظهر خلال الصيف كانت الاصابات به أكثر فتكاً مما لو ظهر خلال الشتاء .

وعند ظهور هذا الوباء في المستشفيات ، يعزل المصابون في معازل خاصة خشية أن تنتقل العدوى بواسطة الذباب الى الأصحاء .

وقد بين المرحوم الدكتور علوي باشا في كتابه « الأمراض العينية » أنه يعتقد أن الدفتيريا الرمدية قليلة في القطر المصري بالنسبة للبلاد الأجنبية . ولكنه يعتقد كذلك أنه اذا انتشرت كان انتشارها بحالة وباء. وقد كان هذا الوباء الذي حصل في سنة ١٩٢٢ الأول من نوعه في تاريخ الرمد بالقطر المصري .

الوصف الأكلينيكي

سبق أن قسمت الوصف الاكلينيكي لهذا المرض الى ثلاث درجات كالآتي : —

١ — ورم بسيط بالجفون ، وإفراز بسيط وغشاء خفيف على الملتحمة ، وتكون درجة الحرارة بين ٥ر٣٧ و ٣٨ درجة .

٢ — ورم شديد بالجفون ، حتى لا يمكن رؤية داخل العين أو قلب الجفن إلا بصعوبة ، وإفراز صديدي شديد ، وارتفاع في درجة الحرارة قد تبلغ الأربعين اذا ما تعددت أنواع الميكروب . ومعظم أنواع الرمد ولا سيما الصديدي يسبب الصداع والأرق .

٣ — ورم شديد بالجفون فلا يمكن فتح العين ولا قلب الجفن بسببه لوجود حالة (غرغرينية) في الجفون ، وترتفع درجة الحرارة بين ٣٨ و ٣٩

وفي حالات الرمد الصديدي يحقن المصاب بحقنة لبن فتتحسن صحته والأمر بالعكس إذا حقن مصاب بالرمد الدفتيري بتلك الحقنة فإن حالته تسوء ولذلك يجب التأكد من نوع الرمد أولاً

ولما كان ظهور هـذا الوباء يعتبر الأول من نوعه في أسيوط في تلك السنة فقد عزل المصابون في أقسام ثلاثة بالترتيب التالي :

فالقسم الأول خصص للحالات الايجابية وقد أحيط بأسلاك لا يدخلها الذباب fly proof

والقسم الثاني : للحالات السلبيـة التي يظهر اكلينيكيًا إنها ايجابيـة وأحيط كذلك بالسلك المانع للذباب .

والقسم الثالث : للحالات المشتبه فيها أو السلبية (ولا نشك إنها إيجابية اكلينيكيًا) وحوله السلك المانع للذباب أيضاً .

وخصص لكل قسم من تلك الأقسام خادم وخادمة يشرفان على خدمة المرضى ولا يختلطان بخدم القسمين الآخرين .

وقد وجد ميكروب السيلان الجونوكوك مع ميكروب الدفتيريا في ١١ حالة من ٢٠ حالة وميكروب الكوخ ويك (Koch Week) في ٧ حالات وميكروب Xerosis في حالتين . وتوفى من تلك الحالات أربعة أطفال بسبب غرغرينة بالمقلة وبلغت نسبة العمى ٥٥ في المئة.

ووجد ميكروب السيلان في ١٢ حالة من الحالات السلبية التي أُعتقد إنها ايجابية بسبب تغلب ميكروب السيلان على ميكروب الدفتيريا وتوفى في تلك الحـالة اثنان وبلغت نسبة العمي ٤٦ في المئة .

فوفاة ستة أطفال بين ٣٥ طفلاً أي بنسبة ١٧ في المئة كان أمراً له خطره . ولا سيما اذا عرف أن الناس كانوا لا يظنون بل ولا يعتقدون ان الرمد الصديدي يسبب الوفاة .

كما ان فقد البصر وقد بلغ ٥٠ أو ٥٥ في المئة — وهي نسبة كبيرة جدًا — لا يمكن القضاء عليها إلاّ بالحقن ضد الدفتيريا ، فقد تم حقن أطفال الحالة الشديدة من ٦٠ ألف الى ٨٠ ألف وحدة وحقن أطفـال الحالة المتوسطة من ٢٥ ألف الى ٤٠ ألف وحدة وحقن أطفال الحالة الخفيفة من ٨ آلاف إلى ٢٠ ألف وحدة .

ومن ذلك يتبين خطورة الدفتيريا سواء كانت حلقية أو رمدية .

وهذا ما يجب توجيه نظر الناس جميعاً اليه ليصونوا أطفالهم بحقنهم بالمصل الذي يقيهم هذا الوباء وشره .

الزهري

تاريخه وأعراضه وتأثيره على أجزاء العين

والزهري — كما هو معروف — مرض من أمراض التناسليات يصيب الناس جيلاً بعد جيل وينقسم الى : اولاً — مكتسب . وثانياً — وراثي .

وقد عرف باسم الزهري ويسميه العامة بالتشويش أو داء البلاء أو التشويه لأنه يشوه الجسم .

تاريخه : يحسن في هذه المناسبة ذكر تاريخ ظهور هذا المرض حتى يلم الناس به الماماً ويعرفوا مصدره . وقد جاء في كتاب الطب المصري القديم لمؤلفه الدكتور حسن كمال أن الحكومة المصرية ألفت لجنة برياسة الأستاذ أليوت سميث والأستاذ وود جونسن وكيله لفحص ما يكتشف من الجثث المدفونة في البلدان التي كانت في النية اغراقها في بلاد النوبة بعد تعلية خزان اصوان ، وقد وضعت هذه اللجنة تقريرها وضمنته النتائج التي وصلت اليها من الفحص مقرونة برسوم متعددة لجثث محنطة في عصور شتى ، وتاريخ هذه الجثث كان قبل العهد الفرعوني في مصر وتنتهي بعهد اليونان . وقد أثبتت هذه اللجنة ان أمراض الزهري والسرطان والكساح لم يكن لها وجود مطلقاً في وادي النيل ، بل ان الذي كان منتشراً في بعض المناطق هو الالتهاب العظمي المفصلي المسمى Rheumatoid Arthritis ودل التحليل الكيماوي على أن داء النقرس داء الملوك gout كان موجوداً عندهم التهاب النتوء الحلمي Mastoid disease وعن التهاب حول الزائدة الدودية وعلى التصاق الجمجمة بأعلى العمود الفقري نتيجة المرض المسمى Spondylitis deformans . كما ظهر في بعض جماجم النساء تقيح نتيجة حمل « زلع » الماء أو ما يشبهها .

ويشير بعض الكتاب الى أنه لم ير أثر للزهري في نصف الكرة الشرقي قبل سنة ١٤٩٣ أي قبل « كريستوفر كولمبس » ففي تلك السنة انتشر الزهري في برشلونه بواسطة البحارة الأسبانيين ، كما انتشر في إيطاليا في عهد شارل الثامن فقد نشر جنوده هذا المرض في نابلي ثم في بلدان إيطاليا وسائر الاقطار الاوربية .

وهناك مؤرخون يقولون بوجود هـذا المرض في آسيا وأوربا من زمان قديم ، وهم في قولهم هذا يتحدثون التاريخ القديم والطب القديم والتوراة من وجود أعراض تشبه مرض الزهري في عظام الهياكل والأدوية التي كانت تستعمل وقتئذ مثل اليودور والعشبة .

ولكن الثقات يرجحون الرأي الأميركي من أن هذا المرض جاء الى أوربا وآسيا من أميركا ، وكانوا يسمونه أولاً بالمرض النابلي نسبة إلى نابلي ، ويسمونه « الحب الفرنسي » (French pox) وفي سنة ١٥٣٠ سمّى فراكستوريوس وجاليكس ومن ذلك الوقت أخذ الاسم الأخير وهو الزهري .

* * *

وكانوا يظنون أن هـذا المرض ينتقل من شخص الى آخر أسوةً بالأمراض المعدية ولكنهم عرفوا فيما بعد طبيعة انتقاله التناسلي . وكان الدكتور فرنل الطبيب الباريسي (Fernil) هو أول من قال بضرورة أخذ القرحة الأولى للمرض وذلك في القرن السادس عشر . واكتشف الدكتور بارسلس (Paracelsus) انتقال هذا المرض بالوراثة .

وفي ذلك الوقت كانت أعراضه أشد فتكاً مما هي الآن .

وفي سنة ١٨٠٠ اكتشف Lancisi الصلة بين مرض الزهري ومرض (Aneurism Aorta)

وشرح (Morgagni) تأثير مرض الزهري على الأمعاء الداخلي .

وعند ما طعّم نفسه (Hunter) — تحت تأثير خاطىء — بهذا المرض ، جمع بين وحدة القرحة الرخوة والسيلان والزهري .

وفرّق (Ricord) بين القرحة والرخوة الصلبة في القرن التاسع عشر حيث عرفت جميع الأعراض الاكلينيكية ، إلاّ أن المسبب لذلك لم يعرف حتى سنة ١٩٠٥ عندما اكتشف شودن (Schaudinn) وجود الميكروب المسمى اسبيروكيتي Spirochoete في القرحة الأولى .

وفي سنة ١٩١٠ أعلن ارلخ (Ehrlich) اكتشاف المركب الذي يقتل الميكروب من الدم ولا يضر الانسان ، وهو المركب الزرنيخي ٦٠٦ و ٩١٤ .

العدوى من مرض الزهري

والعدوى بمرض الزهري المكتسب تحصل بالدس ، فاذا ما وجد جرح أو تسلخ بسيط على الغشاء المخاطي أو الجلد خلال الجماع ، ينتقل الميكروب من القرحة الى التسلخ أو الجرح وبسبب العدوى بالقرحة الأولى كما ذكر فرنل الطبيب الباريسي بضرورة وقوعها في حالة الزهري المكتسب أولاً والتي تسمى بالقرحة الصلبة .

وليس الجماع هو السبب الوحيد للعدوى بالزهري المكتسب ، بل وجدت حالات انتقلت خلال تقبيل مريض بالزهري انساناً سليماً متى وجد به جرح بسيط أو خدش (خربشة) وكان الميكروب موجوداً عند التقبيل .

وكذلك يحدث أثناء الولادة إذا ما وجد الميكروب بأصابع الطبيب أو المولدة ولذلك يلبس الأطباء والطبيبات قفازات مصنوعة من الجلد (الاستك) بعد تطهيرها .

أما العدوى بالزهري الوراثي فإنه يصل الى الطفل من والديه أو أحدهما عن طريق الدورة الدموية خلال مدة الحمل حيث تكون الأوعية الدموية للطفل متصلة بالأوعية الدموية لرحم الأم .

* * *

وقد ذكرنا في ما تقدم ان العدوى الأولى في الزهري المكتسب هي القرحة التي تصيب المصاب محل اللقاح من ثلاثة الى أربعة أسابيع . وهنا تكون القرحة اولاً بلا افراز إلا إذا صحبها عدوى بميكروب آخر ، وتستمر شهراً وتتحجر حوافها ، ولذلك سميت بالقرحة الصلبة ، ثم تتحجر الغدد القريبة والبعيدة منها ، ثم يحصل الطفح على الصدر والبطن والشفتين ويلتهب الحلق ، وتصاب اللوز بقرح تشبه حالة الالتهاب كما يلتهب الأنف وتبدو رائحته كريهة ، ويصحب ذلك ارتفاع في درجة الحرارة ، ويصحب تلك الحالات أحياناً ، صلع جزئي أو عام في الرأس . وجميع تلك العلامات تشفى وتزول خلال ستة أشهر ، وكأن المريض لم يصب بشيء ما ، ولكن سرعان ما تظهر عليه علامات الدور الثالث للقرحات على الجلد

والأيدي والساق والمقعد ، وتظهر حالة (grimus) في أعضاء الجسم مثل ورم بالكبد والرئة والعظام بصفة عامة وعظام الحجاج بصفة خاصة ، ويؤثر ذلك على الشرايين فيحدث ما يسمى بتصلب الشرايين بالجسم وبالمخ ، فينفجر شريان المخ ويصاب المريض بالنقطة المخية والشلل والموت .

أما علامات الزهري الوراثي ، فانها تظهر على الطفل بعد ولادته بثلاثة أو أربعة أسابيع على الأقل ، وفي حالات أخرى لا تظهر إلاَّ بعد سنتين .

وأهم ما يظهر على الطفل بعد الولادة في الأسبوع الرابع ، فهو العطس ، ورائحة كريهة بالأنف . ويظن أهل الطفل أنه أصيب بالبرد فيعالج على هذا الأساس ولكن العلاج لا يفيده وسرعان ما تظهر عليه تقرحات بالشفتين وحول الشرج والأنف وتزيد هذه التقرحات في الشهر الرابع والخامس ، وغالباً تنتهي بوفاة الطفل ، وتلك علامة من علامات الزهري الوراثي أي أن الطفل يموت في الحول الأول من عمره ، أما الأم فقد تجهض في الشهر الثاني أو الثالث من حملها ، فاذا أتمت شهور حملها وولدت طفلاً سليماً ، ففي الغالب يصاب الطفل بالعلامات التي أشرنا اليها فيما تقدم .

وليس كل امراة زهرية (أي مصابة بالزهري) تجهض أو يموت أطفالها في الحول الاول ، بل الأمر قد يكون بالعكس . ولكن حدوثه يكون معناه الاشتباه بالزهري الوراثي والاهتمام بعلاجه بعد الفحص والتشخيص .

وقد تظهر على الطفل علامات ضعف البصر ، وضعف السمع ، ويلاحظ ذلك بين سن الخامسة والخامسة والعشرين ، وتأخذ الجبهة شكلاً معيناً ببروز في عظم الجبهة وانخفاض في عظم قمة الأنف ، وتأخذ الأسنان من الأمام شكلاً مخصوصاً بالانبعاج والشرشرة وسوى ذلك مما لا محل لذكره هنا فانه من عمل الطبيب الذي يتولى فحص الدم بطريقة ويسرمان Waserman وطريقة كالمز Kalm's . وليس كل تحليل سلبي معناه عدم وجود ميكروب زهري فان الميكروب يكمن أحياناً في عضو من أعضاء الجسم فلا يتحرك ويخرج الى الدم الاَّ بعد حقنه ، والمهم في ذلك كله التشخيص الاكلينيكي مع تحليل الدم .

« للبحث تتمة »

الدكتور عبد المسيح جرجس
اخصائي في امراض العيون

الثقافة العامة

وتنظيم وسائل الاشراف عليها

أدرك القائمون على وزارة المعارف أن اكتساب المعرفة لم يعد مقصوراً على التلقين يقوم به المعلمون في حجرات الدرس ، بل ولم يعد مقصوراً على فترة معينة من العمر يقضيها المرء في تنمية الملكات واكتساب المعارف ، فوسعوا من اختصاص الوزارة حتى يشمل كل المرافق المتصلة بالمعرفة بل والتربية في أوسع مداها ، واذا كانت العناية بالدراسة النظامية واجبة ، فالعناية بالدراسة غير النظامية أوجب ، ذلك لأن الرقابة على الأولى أوجدتها سنن وتقاليد ونظم رسخت على الأجيال ، أما الثانية فجديدة وتأثيرها في النفوس أشد وأمكن لحرية وسائلها ومسايرتها لمراحل الحياة جميعاً . ومن ثمَّ كان الغرض من اشراف وزارة المعارف على الثقافة العامة هو توجيهها للصالح الخاص والعام وتقويم المعوج من أفرادها وأدواتها وسد النقص الذي قد ينجم في ناحية من نواحيها مع المحافظة على التراث العقلي والعصوري للأمة المصرية بنشر ذخائرها والكشف عن المطمور من نفائسها والعمل على تنسيق النهضة الثقافية في مصر معها في الأمم العربية الشقيقة من ناحية والأمم الغربية من ناحية أخرى .

ولكن عدم الاستقرار الذي تتسم به هذه الفترة من حياة الأمة ، وهي بفترات الانتقال أشبه ، جعل الوزارة لا تستقر على خطة معينة واضحة في اشرافها الثقافي الجديد ، آية ذلك أنها فهمت من الثقافة العامة وسائل اكتساب المعرفة خارج المدرسة حيناً ، فقصرتها على الترجمة والتعاون الثقافي والاحصاء ، دون أن تبين ماهية هذا الاحصاء . ثم جاءت بعد ذلك فجعلت حد الثقافة — كما يقول المناطقة — خارج الفصول الدراسية ، فضمت الى اداراتها ما يتصل بالنشاط المدرسي من رحلة وتمثيل ، أضف الى ذلك أنها وكلت هذا الاشراف الثقافي الى جماعة من المدرسين القدماء أعترف بكفاءتهم وعلمهم وفضلهم وتفننهم في علوم كثيرة ، ولكني أعترف كذلك بأن تعريفهم للثقافة غير جامع لكل الوحدات التي تتألف منها في عصرنا هذا الحديث . وهم لذلك وقعوا في خطأين واضحين

الأول عدم التفريق الحقيقي بين التعليم والثقافة العامة. والثاني احتفالهم بالكلمة المكتوبة وايثارهم للتأليف والترجمة والنشر واهمالهم لتلك الوسائط الثقافية الجماعية الخطيرة كالسينما والاذاعة والصحافة ، وهم اذا التفتوا اليها فانما هي الالتفاتة العجلى التي تتذبذب بين وظيفة التعليم المدرسي ووظيفة الثقافة العامة .

والأداة الحكومية عندنا في تطورها من السلبية الى الايجابية أو من البيروقراطية الى الديمقراطية دفعت أولي الأمر الى معاودة تصنيف الادارات الحكومية القائمة واستحداث ادارات بل وزارات جديدة ، بيد أن هذا ايضاً لما يستقر على خطوط واضحة فأصبحنا نرى — فيما يتصل بموضوع الثقافة العامة وزارات الداخلية والشؤون الاجتماعية والمعارف تتنازع الاختصاص في بعض المسائل والاشراف على بعض الادارات والمصالح ، مثال ذلك ان شئون التمثيل ودار الأوبرا تستلحق بوزارة المعارف حيناً وبوزارة الشئون الاجتماعية حيناً آخر مع أن وظيفة كل وزارة تختلف عن وظيفة الأخرى ، وان الرقابة السينمائية تتوزعها وزارتا الداخلية والشئون ولا تحتفل بها وزارة المعارف ، مع أنها وسيلة من أهم وسائل الثقافة العامة . ومن هنا تضاربت الخطط والاختصاصات وأصبحت الهيئات الحكومية تسير كل واحدةٍ منها في خطتها ، بل وأصبح الأفراد والجماعات يعمل كل حسب نزعته المستقلة دون تنسيق للحركة الثقافية ، وهو التنسيق الذي يعمل على عدم تكرار الجهد أو تضاربه والذي يجعل كل فريق يفيد من تجاريب الفريق الآخر ويبني عليها ، ولهذا كان لزاماً أن نوضح وظيفة كل وزارة ، فالداخلية تشرف على العمل الثقافي من حيث مساسه بالأمن العام ، والشؤون الاجتماعية تشرف عليه من حيث مساسه بالخلق العام ، أما وزارة المعارف فهي المعنية به القوّامة عليه تشجعه وتدعو إليه ، بل وتخلقه خلقاً إن اقتضى الحال .

***

وقد آن لنا أن نعيد النظر في إشراف وزارة المعارف على شؤون الثقافة العامة ، ذلك لأنّ مهمتها في هذه الناحية لا تقل ، إن لم تزد ، على مهمتها في الاشراف على الوحدات التعليمية النظامية ، لأنّ وسائل الثقافة العامة تتصل بالحياة العقلية ، الفردية والجماعية على السواء ، وبخاصة في هذه الفترة التي نحاول فيها أن نحمي الشباب من الآراء الهدّامة والتجمعات الفاشية المعارضة للنظام الديموقراطي الذي نريد أن نمكن له ونرسخ أصوله ، وقد فطن لذلك بعض الخبراء في العقلية الجماعية ، فدعوا الى الإشراف الرشيد على وسائل الثقافة العامة ، وأعني بالرشيد هنا الى ما لايتعارض مع حرية الفكر وحرية التبادل الثقافي في حدود المحافظة على مقوّمات الأمة في ظل النظام الديموقراطي ، وقالوا إن هذا الاشراف

ينطوي على مهمتين : إحداهما سلبية تعمل على الحماية من تسرب الثقافات الضارة ومن إساءة استعمال وسائلها ، والأخرى ، إيجابية تشجع القائمين بأمر الثقافات المفيدة وتستحدث ما ينبغي أن يوجد منها .

ولم تعد العلاقة بين الدول مقصورة على الاتصال السياسي والتبادل الاقتصادي والتجاري بل شملت التعاون الثقافي بأوسع حدوده ، فأنشئت شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة « Unesco » وهي التي تنظم العلاقات الثقافية بين الأمم ، وتشرف على تبادل الآثار الفنية والعلمية بين مختلف الشعوب ، وتصدر النشرات والاحصائيات ، وقد نظمت هذه الشعبة بحيث تنتظم الكلمة المكتوبة والملفوظة وسائر الفنون البصرية والسمعية التي تؤثر في الفرد والجماعة وتشجع القائمين بها وتنسق الجهود المساهمة فيها ، كما أنَّ جامعة الأمم العربية لم تغفل الثقافة العامة وأثرها في التقريب العقلي والشعوري بين هذه الأمم فأنشأت مكتبها الدائم ودعت الى المؤتمرات الثقافية ، وهي تحاول جاهدة أن تكشف عن نفائس المخطوطات والآثار الفنية وأن تشجع النهضة الفكرية وتعمل على تنسيق خطواتها .

* * *

أما وقد أصبحت للثقافة العامة هذه المكانة الملحوظة في الحياة الوطنية والدولية فقد صار من المحتم علينا أن نعيد النظر في الأداة الحكومية المهيمنة عليها ،

ومن ثمّ لم تثبت على نظام أو تستحدث سنة ، فاذا اضطرت الى القيام بعمل من الأعمال وكلت به الى غير أهله أو دفعت به الى المختصين فيه من غير رجالها

وقد آن لنا أن نهتدي بتنظيمات الشعبة الدولية والمكتب الدائم للجامعة العربية ، وأن ننشىء الأداة المشرفة على الثقافة العامة بالوزارة من جديد ، على أنه لا يعزب عن بالنا أن الإفادة من هذا التعاون الثقافي الدولي يجب أن تكون بقدر وأن نفرق بين ما يقصد للدعاية وما يقصد للثقافة وأن نحذر التبعية الثقافية لأنها وخيمة العاقبة كالتبعية السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وقد تكون مقدمة لها وداعية إليها « ولعلّ أول ما ينبغي أن نحتفل به هو العمل على استصدار قانون يحافظ على الملكية الأدبية والفنية والعلمية حتى لا تصبح المؤلفات والآثار الفنية نهباً للنقلة والمقتبسين بغير حق ، وقد ترددنا في استصدار هذا القانون لأننا لم نرد أن نقفل الباب في وجه المترجمين ولما نزل في نهضتنا الفكرية عيالاً على غيرنا ، ولكن العقلية المصرية تأخذ مكانها التدريجي بين العقليات العالمية فالباب الذي فتحناه من ناحية بعدم استصدار هذا القانون يقفل في وجوه الفنانين

المصريين أبواب الافادة من جهودهم اذا أريد نقلها أو الاقتباس منها ، وسيدعو التبادل الثقافي الدولي الى عقد المعاهدات الثقافية وما يشبهها ، فعلينا أن نحترم الملكية الثقافية لغيرنا حتى يحترموا ملكياتنا .

ولسنا نستطيع أن ننظم هذا الاشراف الثقافي العام إلاّ إذا عرفنا ما عندنا وما ينقصنا باصطناع الاحصاء الثقافي الذي تبنى عليه المناهج والتوجيهات في كل فرع من فروع الثقافة ، ونحن اذا أردنا أن نحرص على مكانتنا الثقافية كان لزاماً علينا أن نأخذ بأكمل الوسائل الاحصائية من تسجيل وتصنيف وتحليل ، حتى يصبح هذا الاشراف قائماً على العلم الصحيح بنفسيتنا الجماعية وقدراتنا العقلية والشعورية .

وما دمنا قد أخذنا باللامركزية في شؤون التعليم وعرفنا فائدتها في حسن التوزيع وملاءمة التعليم للبيئات المختلفة قدر المستطاع ، فمن الضروري أن نأخذ بهذا النظام نفسه في التقسيم الثقافي حتى لا يتركز اهتمامنا في منطقة أو منطقتين . علينا أن نقسم القطر الى أقسام ثقافية أو نفيد من التقسيم السابق الى مناطق تعليمية فنلحق بها ادارات ثقافية تنظر في حاجة القسم أو الاقليم أو المنطقة الى الثقافة العامة أو نستكثر من الجامعات الشعبية ونوسع من وظيفتها أو ننشىء مراكز ثقافية قائمة برأسها .

* * *

وقد أدركنا في مطلع نهضتنا الفكرية أننا أحوج ما نكون إلى الترجمة فنقلنا الكثير من التآليف في شتى فروع المعرفة . وفي الأدب والعلوم الانسانية بخاصة . ولكن هذه الحركة قصرت جهدها كله تقريباً على اللغتين الفرنسية والانجليزية حتى أن قادة الرأي فينا كانوا يقسمون أنفسهم الى مدرستين : لاتينية وسكسونية . وقد أراد المشرفون على وزارة المعارف في يوم من الأيام أن يتخلصوا من هذا الضرب من الاحتكار الثقافي فأضافوا لغات أخرى إلى ما يدرس بالمدارس وجعلوا للطالب في مرحلة التعليم الثانوية أن يختار اللغة الأجنبية الاضافية . بيد أن هذه الحركة لم تؤت ثمارها لهذا السبب أو ذاك . فأولى بنا أن نوسع من حركة الترجمة ، نأخذ ما ينقصنا من جميع اللغات والشعوب بلا تفريق ، وستعاوننا في ذلك من غير شك شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة .

ولما أنشأنا مراقبة الثقافة العامة في وزارة المعارف وألحقنا بها ادارة للترجمة الفنية ، ونقصد بالفنية هنا الترجمة غير الادارية وقعنا في خلاف فقهي : أتقوم الدولة بالترجمة أم تشجع القائمين بها فقط . ولم يكن لهذا الخلاف محل لأن الدولة الآخذة بأسباب النهوض الفكري عليها أن تساهم مساهمة حقيقية في حركة الترجمة ، ولسنا في ذلك بدعاً ، فقد سبقتنا

حكومات كثيرة بترجمة نفائس الكتب التي تحتاج إليها أممها .

وحركة الترجمة على طول مداها وتشعب موضوعاتها وكثرة المشتغلين بها لا تزال قاصرة من وجوه كثيرة ، فروائع الأدب العالمي لما تكمل ترجمتها بعد ، وفروع العلم الطبيعي لا تزال عصيّة على المترجمين اما لأن أساتذة هذه العلوم قد درسوها بلغات أجنبية واما لأن المصطلحات لم يتفق عليها بعد . ونحن قبل أن ننظم الحركة للترجمة نرى لزاماً علينا أن نحصي المترجمات القائمة وأن نصنفها على موضوعاتها وأن نبين الصالح منها وأن نفيد من تجارب الذين قاموا بها في نقل العبارة والاصطلاح والأسلوب جميعاً . وأن نحصي المترجمين القادرين ونشجعهم بالارشاد والعون المادي وهذا مطلب من مطالب الشعبة الدولية لكي يتيسر لها أن تنظم التبادل الثقافي بين الأمم .

أما رسم الخطة لحركة الترجمة بعد هذا التمهيد فلن يكون عسيراً لأننا سنعرف ما ينقصنا من روائع الأدب العالمي فنعكف على نقله ونقف على الكتب العظيمة التي أثرت في العقل الانساني فنترجمها ونشرحها ، وندرك ما نحتاج اليه من فروع العلم فنعربها ونتتبع ما يؤلف في اللغات الأجنبية عن مصر والعرب والاسلام فنرد على ما يستأهل الرد ونترجم ما يستحق الترجمة .

ولا يفوتنا جانب خطير من جوانب الترجمة ، هو النقل من العربية الى غيرها من اللغات ويكاد يكون الاهتمام به معدوماً ، ولست أقصد به الدعاية لمصر وآثارها ونهضتها كما يفهم الكثيرون ولكني أقصد به اعطاء العبقرية المصرية فرصة اظهار كفاءتها بين العبقريات الأخرى ، فنحتفل بما تطلبه منا الشعبة الدولية من ناحية ونساعد المصريين الذين يجيدون لغة أجنبية ويريدون الترجمة اليها على القيام بهذا الجهد الشريف من جهود الثقافة العامة .

ومن العجيب اننا لا نزال نعامل المترجمين الفنيين اذا أردنا تشجيعهم أو الافادة من عملهم بذلك « التسعير الجبري » الذي أقره مجلس الوزراء في زمن مضى وحاولت مراقبة الثقافة العامة أن تغير من هذا الوضع فلم تفلح ، أو لعلها أنظرت الى يوم قريب أو بعيد ، وكان خيراً لها لو عاملت المترجمين بغير هذه المعاملة فاشترت حق الطبع بالقدر الذي يدخل التشجيع فيه .

وذكرت مراقبة الثقافة الحالية التأليف الى جانب الترجمة ، ولكنها ذكرته كما تذكر الألفاظ المتضايفة لا غير ، وفهمت منه القدرة على التحرير فوكلت أمر تشجيعه الى بعض المتخصصين في اللغة العربية دون سواهم مع أن هذا التشجيع يجب أن يوكل الى جماعة من

المتفننين في علوم كثيرة يعرفون ما تحتاج اليه الامة فيدعون الى التأليف فيه ولا يقتصر عملهم على قراءة الكتب وبيان ما يصلح منها للمكتبات المدرسية . وقد فطنت الوزارة الى تشجيع التأليف بوضع الجوائز وعقد المسابقات فأعلنت عن مسابقة منها لكتب الثقافة العامة وكتب الأطفال وكتب الآباء والأمهات ، وليس من الضروري أن تنشر الوزارة بنفسها المؤلفات التي تشجعها وتعين على تأليفها . وقصاراها أن ترشد الناشرين اليها وأن تساهم في الدعاية لها وأن تنشىء جمعيات « الكتاب » وأنديته في كل مركز ثقافي أو معهد لتحث أوساط المتعلمين على القراءة المفيدة المنتجة وتبصرهم بالكتب الناقصة وتعلمهم التمييز بين الكتب والثقافات .

واذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تقصد الى الربح من أعمالها ، وبخاصة الثقافية منها فانه يجمل بها أن تعاون الهيئات والأفراد الذين يعملون على نشر الكتب جادين مخلصين وألاَّ تقف في معاونتها هذه عند الحدود المرسومة الى الآن وألاَّ تقتصر هذه المعاونة على الجانب المادي وحده ، بل يجب أن ترشدهم الى المخطوط النفيس والمؤلف القيم والمترجم الأمين أو حتى يعدهم به فتعفيهم من حق التأليف ، وتلك معاونة صادقة تزيد على المعاونة المادية . أضف الى ذلك أن الوزارة نفسها « عميل » مهم في سوق الكتاب . تشتري كثيراً من الكتب لتوزعها على مكتبات مدارسها أو تفرقها على تلاميذها وهي تتبع في هذه الناحية أسلوبها التقليدي في تأليف اللجان التي اذا اجتمعت فانما تجتمع مرة كل ستة أشهر ، وتتوقف بأمر يصدر بايقاف الانفاق على الكتب . لا بد من سياسة ثابتة رشيدة تتبع في شراء الكتب فلا يؤخذ من بند المقررات ما رصد على المكتبات ولا يتأثر التقدير بالحظوة من كبار الرجال فتطغى المحسوبية على المعايير الثقافية وما تطمح إليه من مثل .

ونحن مطالبون بحكم اتصالنا بالمؤسسات الثقافية العالمية أن نرصد جهدنا الثقافي بين الحين والحين ، وأن نصدر نشرات تسجل هـذا الجهد وأن نتبادل هذه النشرات مع الأمم الأخرى مساهمةً منا في حركة الأخذ والعطاء في ميادين العلم والتربية والثقافة العامة ، أفليس من واجبنا والحالة هذه أن نذيع في جمهور المتعلمين عندنا خلاصة حقيقية لجهدنا الثقافي وهم بعلمه أولى من غيرهم وأن نضيف إليـه جهد الأمم الأخرى حتى يفيدوا منه ويبنوا عليه . واذا كانت وزارة الدفاع تصدر صحيفـة عن الجيش تعمل على تثقيف ضباطه والتقريب بين عقلياتهم ، بل واذا كانت وزارة الشؤون الاجتماعية تصدر مجلة يكاد يختص فيها الطابع الرسمي وتخرج بها الحـكومة عن مألوفها في عدم الاتجار بأعمالها فان مراقبـة الثقافة في وزارة المعارف أولى من غيرها بأن تصدر صحيفة تبين فيها الحركة الثقافية في مصر والأمم الأخرى

أولاً بأول حتى يطلع المثقفون ، .وبخاصة رجال التعليم ، على نواحي النشاط العقلي في العالم وقد يشحذهم هذا الى العمل الثقافي الايجابي .

وليس أدعى الى التأليف بين وحدات العقلية المصرية العامة أو العقلية العربية العامة من الكتب الجامعة أو دوائر المعارف ، وقد تنبه الى ذلك القائلون بالعالمية ، فدعوا الى تأليف دائرة معارف عالمية تنتظم الحياة الانسانية مبرأة من شوائب العصبية والشعوبية وما جرته على الانسانية من محن وكوارث وحروب . والأمة المصرية لم تصدر الى الآن كتابها الجامع لجهد أبنائها وجماعاتها منذ أنشأت حضارتها المكينة على ضفاف وادي النيل بل واللغة العربية تنتظر دائرة معارفها الكبرى التي تقف الى جانب دائرة المعارف البريطانية أو الفرنسية ، ناهيك بدوائر المعارف الخاصة بالفنون والعلوم وضروب الجهد الانساني ، ونحن لن نستطيع بطبيعة الحال، ولما نستكمل بعد أدواتنا ، أن ننشىء دائرة معارف مثالية ولكننا نستطيع أن نحاول مفيدين من تجاريبنا وتجاريب غيرنا .

ومن حق وزارة المعارف أن تمد اشرافها الثقافي العام على دور الكتب وأن تعين الهيئات الأقليمية والخاصة على إنشاء دور جديدة وأن تنتخب لها الكتب ، وقد تزودها بها إن استطاعت وتهيء طبقة من المتخصصين في فن المكتبة توزعهم على هذه الدور وأن تجعل مكتبات المدارس ومعاهد العلم مكتبات عامة لغير المدرسين والتلاميذ كلما وجدت الى ذلك سبيلاً ، وأن تنظم مكتبات خاصة بالصبيان أو الشبان أو النساء ، ومكتبات فنية خاصة تنتظم مصادر هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة وأن تفيد من وسائل النقل فتدفع « بالمكتبة المتنقلة » الى أطراف المنطقة الثقافية أو الاقليم الثقافي وقد حوت النشرات والكتب والصور والأخبار التي تفيد الناس في معاشهم وتعينهم على استغلال فراغهم .

وثمة جانب من جوانب الثقافة القومية العامة قد أغفلناه وهو الأدب الشعبي ، وقد عنيت به شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة من ناحيتين : من الناحية الأدبية الخالصة ومن ناحية دلالته على الأمة التي صدر عنها ، ولمصر أدب شعبي عني به العلماء الاوربيون في حين غلب علينا الأدب الفردي الأرستقراطي ، ولما احتجنا الى القوالب القصصية والتمثيلية مددنا بأبصارنا عبر البحر المحيط ولم نحاول أن نقيم أدبنا القصصي والتمثيلي على أصوله ، وان تكن ساذجة وحرام علينا أن نترك تراثنا لغيرنا يدرسونه ويشيدون به ونوقف جهودنا على آداب الفرس واليونان ومن اليهم ! . على وزارة المعارف مستعينة بالمتخصصين أن تجمع آثار هذا الأدب وان تعمل على تنقيته مما علق به من الشوائب على

يد النقلة والناسخين والجامعين ! وأن تدفع بأصحاب المواهب الى أن يعيدوا تأليف بعض مشاهده وأن تشجع على تمثيل بعضها الآخر على خشبة المسرح أو على الشاشة البيضاء .

ولما أردنا أن نشجع التمثيل ، دعونا لجنة لترقية المسرح حشرنا فيها بعض المشاهير في كل الشئون حتى شئون المال والأعمال ، وكانت هذه اللجنة قلما تجتمع ، واحتفلنا بالترجمة والتأليف جميعاً فعينا تمثيليات من روائع الأدب المسرحي العالمي لكي تترجم ووزعت بالفعل على طائفة من الأدباء النابهين فترجموا بعضها ، وأكاد أقول إنه لم يمثل شيء منها ، ورصدنا الجوائز للتأليف المسرحي فلم ينتعش حتى قال قائل ان العقلية المصرية قاصرة عن انشاء الأدب التمثيلي وتبلبلنا بين اللهجة الفصيحة والدارجة وبين الشعر والنثر ووفقنا الى مصير دار الأوبرا دون أن نهمل سنتنا الحسنة في استدعاء الفرق الأجنبية الشهيرة ، وألفنا فرقة حكومية للتمثيل وأنشأنا معهداً يدرس أصوله وفروعه وجعلنا التمثيل من النشاط المدرسي وعينا له المفتشين . ولكن هذا كله لم ينهض بهذا الفن الجميل لأن تشجيعنا اياه كان مرتجلاً ، ولأن وزارتي المعارف والشئون الاجتماعية تتنازعان على داره الأولى ومعهده العالي ، وليس أدل على انحطاط مستوى هذا الفن من أن بعض المسرحيات التي تعرضها الفرقة الحكومية باللغة العامية سفسافة يعرف معظم المثقفين أنها منقولة عن أصل أجنبي ومن أن المعهد العالي للتمثيل يدرس فيه عصاميون لا مؤهلات لهم يتصورون الأدب اليوناني من غير فهم له في لغته أو حتى في لغة أخرى .

ولا يمكن أن يشجع هذا الفن الا اذا اشتق من صميم البيئة المصرية واعتمد على التراث القصصي الشعبي وتعاون القائمون به على نهضته مع المشرفين على الحركة الثقافية العامة من تأليف وترجمة مع توزيع المسارح المتنقلة على المراكز الثقافية وفروع الجامعة الشعبية والمدارس والساحات الريفية ، وأن يناط بهذا كله الى وزارة المعارف دون سواها . لأن التمثيل من صميم الثقافة الشعبية العامة واذا كان لغيرها أن ينهض بشيء من الجهد فيه فليكن باعارة الدور التابعة للمجالس البلدية أو بالاعانة المالية والادارية .

وعدت شعبة التربية والعلم والثقافة الخاصة بالأمم المتحدة السينما من أخطر الوسائط الثقافية الجماعية وأقواها تأثيراً في النفوس وخصتها بعنايتها من ناحية التأليف لها ومن ناحية الصناعات الفنية المتصلة بها ، وهذه الشعبة تشجع على تبادل العمل الفلمي وتزاور القائمين به ، فعلى وزارة المعارف أن تعرف للسينما قدرها فتحتفل بالتأليف والترجمة لها وتزود سوقها بالعقليات المستنيرة وتعين الأفلام الثقافية والتاريخية وتدفع الى تعريب الحوار في الروائع الأدبية التي تصدرها شركات السينما في الخارج حتى يفيد منها أكبر عدد

من الجمهور المصري فيرتقي ذوقه ويدفع المشتغلين بصناعة السينما الى الاجادة والاتقان ، وتنتخب من القصص المصري الممتاز ما يصلح للسينما فتعطي بذلك المؤلفين فرصة مزدوجة للافادة من مواهبهم ، وتزوّد المراكز الثقافية بآلات العرض وتستبدل الآلات الموجودة في المدارس بأخرى تصلح للفيلم العادي وتنشر الثقافة السينمائية الفنية بشتى فروعها من تأليف القصة والسيناريو والحوار والتنكر والاضاءة والتصوير وتسجيل الصوت وتقطيع مشاهده . وما اليه مع تخريج طبقة من النقاد تبصر الجمهور بما ينبغي أن يرغب فيه من المشاهد والأفلام .

أما الاذاعة — وكل ما يصدر عنها داخل في العمل الثقافي الخالص — كان المنتظر أن ترفع الشعب اليها لا أن تنزل هي اليه وبخاصة لأنها ليست كالسينما تعتمد في وجودها عليه وتقصد إلى التجارة والربح . يجب أن يوكل برنامجها الى الهيئة المشرفة على الثقافة العامة في وزارة المعارف وأن تتدرج هذه الوزارة في ترقية الذوق الشعبي ونشر الثقافة المبسطة وترقية الغناء الموسيقي ونقل روائع الأدب الاذاعي التي تلائم المزاج المصري .

* * *

والصحافة سواء أكانت ثقافية خالصة أم عامة ، عامل من أقوى العوامل في تدوين الرأي العام الثقافي ، وقد حددت ظروف الحرب من صفحاتها وجعلتها لا تحتفل بالثقافة إلاّ قليلاً ، ولكن هذه الظروف آخذة في الزوال وستحتل الثقافة مكانها القديم وتعود المقالة الأدبية أو العلمية أو الأقصوصة القصيرة الى الظهور . لن تناقض هذه الأنواع الثقافية « الخبر أو الحادثة » ولكنها ستقف الى جانبهما . فمن واجب وزارة المعارف أن تشرف اشرافاً أدبيًّا على الصحافة الثقافية وعلى أبواب الثقافة في الصحف العامة ، وأن تشجع هذه الناحية باعانة الأولى وتزويد الثانية بالارشاد واستغلال العمل الصحفي في الدعاية للنشاط الثقافي وتهيئة النفوس للاقبال عليه والافادة منه .

وليس أدل على حيوية الأمة من الاهتمام بماضيها والمحافظة على آثارها واقامة المتاحف المجسمة لجهودها في سبيل الحضارة ، فالمتحف أفصح من الكتب والمدارس ، ومتاحف الآثار المصرية منفصلة عن بعضها وكأنما عاشت مصر على فترات منقطعة وهي تخضع للمنهج القديم الذي يقسم التاريخ الى دول غازية وأديان مختلفة . فما أحوجنا الى توحيد المتاحف في متحف واحد للحضارة المصرية في شتى عصورها ، وقد أقيمت للعلوم المختلفة متاحف وللمرافق العامة متاحف من حق وزارة المعارف أن تشرف عليها اشرافاً ثقافيًّا وأن تكون هي الواسطة الجامعة لها المنسقة لاداراتها وان ألحق كل منها بالمرفق الذي يدل عليه .

وكما أن المتحف يدل على الجهود الماضية ، فالمعرض يعطي صورة للنشاط الحاضر ، ومن ثمَّ كانت المعارض من أقوى وسائل الدعاية ، والعمل الثقافي كسائر الأعمال يحتاج الى الدعاية له بالكلمة المكتوبة والملفوظة والصورة والمثال . وقد أقيم معرض ثقافي خاص بالكتاب العربي ولكنه كان معرضاً قاصراً تبدو العجلة على كل ناحية من نواحيه . فعلينا أن نقيم أمثال هذا المعرض بعد أن نستعد له وألاَّ نغفل المعارض النوعية كمعارض الصور والتماثيل وأن نساهم في المعارض غير الثقافية فنجعل من معارض النبات والحيوان والحرف والصناعات معارض ثقافية وألاَّ نقصرها على اقليم دون اقليم وأن تتعاون وزارة المعارف مع شتى الوزارات والمصالح التي تريد اقامة معرض من المعارض فتمدها بالخبراء في هذا الجانب من الثقافة من ناحية وبالمتخصصين في تنظيم المعارض وتصنيف المعروضات من ناحية أخرى .

ووزارة المعارف تقدم العون الأدبي والمادي للجمعيات والأندية الثقافية بالفعل وتخضعها لنوع من الاشراف الاداري والثقافي وتبعث المفتشين الاداريين للنظر في حساباتها وأنظمتها ، بل وترسل المفتشين الثقافيين للتحقق من وفائها بالأغراض الثقافية التي انتدبت لها . ولكن هذا الاشراف بصورتيه الادارية والثقافية صوري أو يكاد . . . وما رأيك في أننا كنا نرسل متخصصاً في الثقافة الفرنسية للتفتيش على هيئة خريجي قسم اللغة الانجليزية مثلاً . ونرسل مدرساً من مدرسي اللغة العربية المتخرجين في دار العلوم للتفتيش على أعمال المجمع المصري للثقافة العلمية ، ما جدوى تفتيشهما وما قيمة تقاريرهما ؟ ان الاعانة تُصرف بمقتضى هذا التفتيش وتلك التقارير ولكن هذا ليس كل شيء ، فان هذه الجمعيات وتلك الأندية ومنها ما هو في مصر ومنها ما يمثل الثقافة المصرية في الخارج . ينبغي أن تخضع لإشراف الوزارة الثقافي الجدّي فتمدها بالبرامج وبالارشاد وبالأخصائيين وبالكتب وتتبع أعمالها من حين الى حين ، لا بالتفتيش عليها مرة واحدة في كل سنة وتشجع الأفراد والهيئات على تأليف اللجان والجمعيات والأندية الثقافية الخالصة للقيام بالأنواع التي تنقصنا ، كما تشجع الهيئات النقابية الخاصة والأندية المنشأة لاستغلال أوقات الفراغ بصورة من الصور على أن تكون الثقافة بمعناها الواسع من أهم ما يشغلها ويشغل أعضاءها في شيء من التنسيق بين جهود هذه الهيئات جميعاً حتى تشمل كل فروع الثقافة وتوزع على كل المناطق ويسهل التبادل الثقافي والتزاور فيما بينها تيسيراً للوحدة الثقافية العامة التي ننشدها .

ومن الأخطاء التي ينبغي أن نتنبه إليها أن كل مثقف أو متخصص في ناحية من نواحي الثقافة لا يستطيع بالضرورة أن يشجع الحركة الثقافية ويهيء النفوس لاستقبال العمل الثقافي ومعرفة ما يصلح وما لا يصلح لهذه الهيئة أو تلك الطبقة . فجديرٌ بنا أن نعمل توّاً على إيجاد

جيل من « الثقافيين » يدرسون السيكلوجية الجماعية عامة والمصرية خاصة وحاجياتها. وطرائق التأثير فيها والالمام بما تفعله الامم الاخرى في هذا السبيل بارسال البعثات وانتخاب بعض ذوي الاستعداد ليكونوا مع الملحقين الثقافيين في سفاراتنا بالخارج وتنظيم الزيارات الموسمية للمؤسسات العاملة على نشر الثقافة مع تخريج عدد من المتخصصين في فنون المعارض والمكتبات وما إليها.

وهذه الجهود لا يمكن أن يزاولها المكلفون بها على وجهها الصحيح في ديوان الوزارة وفي تلك الحجرات التي يستطيع أن يغشاها كل من أراد ولو لم يكن له عمل متصل بها، وهي إن ساعدت على عمل فانما هو العمل الديواني العتيق الذي يعتمد على الحركة العضلية الآلية أكثر مما يعتمد على التأمل والتفكير ودراسة ومراجعة النشرات وتحليل الاحصائيات. كما أن اداراتها مبعثرة لا ارتباط فيها بين قسم وقسم، مع أن التنسيق هو بمثابة الأصل الذي ينتظم أصولها. وقد أدّى هذا الى عدم اتضاح الحدود والأعمال وانعدام المسئولية الفردية ومن الخير أن تستقل بمبنى خاص يجمع أكثر مصالحها واداراتها ان لم نستطع أن نجمعها كلها في صعيد واحد وبخاصة لأنها تحتاج في عملها هذا الى الاتصال بالهيئات الثقافية الدولية والعلماء والفنانين النابهين. وكم من عالم شرقي أو مستشرق أو أديب غربي اضطر الى زيارة قسم من أقسام مراقبة الثقافة الحالية فاصطدم بالواقع الذي يباين سمعة مصر الثقافية الحسنة في الخارج.

* * *

اما تقسيم هذا الاشراف الثقافي الى مصالح ومراقبات وادارات وأقسام. فذلك بعد الذي شرحنا يسير لأنه يقوم على تقسيم العمل على الفروع والأنواع. وما دامت وزارة المعارف قد انتهجت سياسة التخفيف عن كواهل التلاميذ في مراحل التعليم النظامي فبسطت البرامج ويسرت الامتحانات وأنقصت اليوم الدراسي فزادت من فراغ التلاميذ وبخاصة المراهقين وصغار الشبان فمن واجبها أن تحتفل بالنشاط المدرسي واستكمال ما لم يحصله التلاميذ في المدرسة بالثقافة العامة وغرس الهواية المفيدة في نفوس الشبان وشغلهم في أوقات الفراغ بما يصلح أخلاقهم وينفع أمتهم ويسمو بغرائزهم وعواطفهم، والاّ اضطر هؤلاء الاحداث الى الانحراف والغواية والافتتان ببعض الآراء المتطرفة والانسياق وراء بعض الزعماء الذين يستغلون عواطف الشبان باسم العدالة الاجتماعية حيناً والمحافظة على مقومات الدين حيناً آخر.

عبد الحميد يونس
عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

في التربية

-٢-

مشاكل النمو والصراع النفسي

-١-

قبل أن نعرض لما ينتاب الناشىء من أزمات تحول دون نموه نمواً طبيعياً ، نشير الى أنواع المدارس التي تساير مراحل النمو في مصر إشارة عامة . انقسمت مراحل الدراسة الماضية أربعة مراحل ، يزدوج في كل مرحلة منها نوعان من المدارس فرقت بين نزيليهما المصروفات . ففي المرحلة الأولى المدرسة الإلزامية ، ورياض الأطفال ، وفي المرحلة الثانية المدرسة الأولية والمدرسة الابتدائية ، وفي المرحلة الثالثة المدارس الصناعية والتجارية والزراعية ، والمدرسة الثانوية ، وفي المرحلة الرابعة المدارس العليا والكليات الجامعية . وقد بذلت مساعٍ جد حديثة لتقريب المستوى المادّي والعلمي لهذه المدارس ، وبدأت بتيسير وسائل التعليم والتوسع في نسبة المجانية ، ومحاولات لجعل التعليم الابتدائي مجاناً ، وتقسيم التعليم الثانوي الى تجاري وصناعي وزراعي ونظري ، وتيسير اختيار السبيل تبعاً للمواهب ، ومواصلة الدراسة منها إلى ما يناظرها في التعليم العالي . وقد تلونت هذه الحركة بالروح الديموقراطية الحديثة والسعي الى تعليم الشعب ، وكان اتجاهها الرئيسي نحو تعميم المجانية وتيسير الدراسة .

وتلت ذلك حركة أحدث منها ، بل تعاصرها ، قوامها السعي إلى ترقية مستوى التعليم من ناحية الكيف ، مع الاستعانة بأساليب التربية وعلم النفس الحديثين ، وتنادي بالمدرسة الواحدة في المرحلة الاولى ، وتحويل المدارس الأولية والالزامية والابتدائية الى مدرسة أولية جديدة تؤدي الى التوسع في التعليم العام ، وفي نفس الوقت الى تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بصورة عملية ، وتسعى إلى إعداد مدرس جديد في معاهد جديدة على أسس حديثة. وتلي هذه المرحلة مرحلة دراسة وسطى ، تناسب مرحلة الطفولة المتأخرة ، ومرحلة الدراسة الثانوية ، وربما كان من النافع تنويعها فتتسع للمدرسة الثانوية التي اقترحها رجال المدرسة الأولى ، فتصل الناشىء الى الجامعة . على أن مشكلة المناهج والكتب الصالحة وطرق التدريس

لم تحتل بؤرة الاهتمام بعد ، وهي في حاجة الى جهود كل من له صلة بالتربية ، وعقد مؤتمرات عامة ، وتجربة المشروعات في نطاق أوسع مما تجرب فيه اليوم بالمدارس النموذجية ، ومن الممكن تمصير طرق المشروعات في المرحلة الأولى ، وطرق المشاكل وأساليب مدارس الفن في المدارس الثانوية والمثل الأعلى للنمو القويم إشباع حاجات الناشىء في كل مرحلة من المراحل ، وإنماء ذاتيته تبعاً لمواهبه إذا أردنا لمجتمعنا هذا رقياً مثالياً . ومن المغالطة الاحتجاج بقلة المال ، فباب الضرائب مفتوح ، وفي مصر ثروات محتكرة وإنما جمعت من مال المستهلك والعامل والصانع والفلاح والشعب المصري ، ولا يستقيم الشعب ويعالج ما به من فقر وجهل ومرض إلاَّ بالتربية السليمة ، وانه لوهم أن يعتقد فرد أن التربية الصحيحة متضر بمصالح طبقة من الطبقات .

— ٢ —

وقد يحدث ألاّ ينمو الطفل نمواً سليماً طبيعياً ويجتاز مرحلة الى أخرى ، فقد يقف عند مرحلة لا يتعداها ، وقد يحدث له نكوص وارتداد الى مرحلة سابقة .

يدل على ذلك ما وصل اليه فرويد ومدارس التحليل النفسي من نتائج البحث في عالم اللاشعور . على أن فرويد يرجع أسباب الشذوذ الى الغريزة الجنسية ، ولا يوافق مكدوجل على ارجاع كل المشاكل الى هذه الغريزة وحدها . وإنما يرجعها إلى ما يسميه الدافع الهورمي ، أي الدافع للحياة ، ويقابل اللبيدو عند فرويد ، وهو يشمل الدوافع الغريزية كلها ، بما فيها الغريزة الجنسية ، ومناطق الشعور ومناطق اللاشعور على السواء . أما رجال التحليل النفسي ، فيرون أن الشعور وميدان العقل والخبرات الفردية إنما هي مظهر الحياة النفسية وسطحها بينما الجوهر الخافي الذي يسير الحياة هو اللاشعور ، ولا يدرك كنهه الاّ بالتحليل النفسي والتأمل الباطني على أن في هذا التفسير للحياة النفسية ما يشبه الدوافع الحية النامية (الهورمية) والاحتفاظية (الميمية) عند مدرسة مكدوجل ، فأساس الحياة النفسية قدرة على النمو واستعداد للاحتفاظ بالخبرات ، ينتج عنهما مركبات أو عقد تنشط في اللاشعور وترى هذه المدرسة أن العواطف مركبات تكونت بهذه الطريقة ، وتلونت بألوان وجدانية نزوعية اتصلت بفكرة ، وتنتظم هذه العواطف تحت سيطرة عاطفة الذات .

ولو حدث النموّ يسيراً ناعماً لما كان هناك شذوذ ، فلو قام اللاشعور أو البناء النفسي بوظيفته بانسجام أدّى الى انسجام السلوك لنما الإنسان نمواً مثالياً ، وإنما توجد ميول خاصّة تتمرد ولا تتعاون مع غيرها من النزعات تحت سيطرة عاطفة اعتبار الذات ، أو الذات المثلى . ولا تبقى هذه النزعات المتمردة راكدة بل تنشط في اللاشعور وتنازع غريزة

اعتبار الذات وتظهر آثارها في السلوك وتؤدي إلى انقسام الشخصية ونموّ سلوك شاذ . ويحس الفرد بمثل هذا الصراع في قرارة نفسه بين شهوات البدن والروح ، وتتنازع انفعالات الغضب والحنوّ ، والخوف وحب الاستطلاع . على أن هذه الصور بسيطة زائلة مؤقتة بينما يوجد انفعالات وعواطف دائمة الحرب . وعلاجها هو اكتشافها وتحليلها ومحاولة التوفيق بينها حتى تنسجم تحت عاطفة الذات المثلى . ولا صلح دون مفاوضة ، كذلك لا سلامة نفسية بدون معرفة النزعة الشاردة والتوفيق بينها وبين الذات المثالية ، وتلك مهمة المحلل النفساني وميدانه هو تفسير الأحلام ، وعثرات اللسان ، وتداعي الكلام الحر ، وغير ذلك مما يكشف للفرد نزعاته المكبوتة الباطنية ، وبقدر ما يوفق بينها يحدث اتزان في الشخصية . أما إذا اشتد بأس العقد المكبوتة ، وزادت سطوتها فظهرت في السلوك ، ولم تعد الذات تسيطر عليها ، فيحدث في النفس ما يشبه حرب العصابات ، وتسعى العقد المكبوتة إلى الظهور على السطح ، وإذا زاد بأسها خلقت شخصية أخرى مركبة قوامها النزعات الشاردة فتقسم شخصية الفرد إلى شخصيتين ، وتتناوب مع الشخصية الطبيعية الظهور والسيطرة . وفي الحالين يقاسي الفرد من المجهود النفسي الذي يبذله بكبت العقد التي تظل في اللاشعور تنتظر الفرص للظهور .

ويفسر فرويد اللاشعور تفسيراً رمزيًّا تصويريًّا ، فيجعل منه حجرة انتظار كبيرة تؤدي الى حجرة صغيرة هي ما قبل الشعور . ويزدحم كل أنواع المشاعر التي تريد الدخول في حجرة اللاشعور ، وتسعى الى الدخول في حيز ما قبل الشعور ، لولا الرقيب الذي يختار ما يصل الى حيز الشعور ، بينما يمنع المشاعر الأخرى فتكبت . على أن أحدها قد يتنكر في ثوب ما ويخدع الرقيب ويدخل الى حيز الشعور . وهذا التفسير فرض نظري خالص ، فالتشبيه مضلل إذا صار سيداً لا خادماً ، أما اذا اعتبر فرضاً كفرد من الخبرة والعقد النفسية والشعور ، كان معناه ما يأتي : تنشط العقد المكبوتة في النفس وتصطرع لتظهر في حيز الشعور ، فيضعف تكامل الشخصية وانسجامها ، وتستقل العقدة النفسية ولا تتعاون مع الشخصية . وقد تنشط وتظهر في ميدان الشعور في ثوب بريء لا يكشف عنها مباشرة ، وبذلك يكون لها معنىً رمزيًّا . وتكثر هذه الرموز في الأحلام إذ ينام الرقيب فتنطلق العقد المكبوتة وتمرح في الشعور وتوجه السلوك سافرة غير متنكرة ، ولكن تنافي هذه الأحلام معاييرنا الخلقية الاجتماعية ، لذا ينتابها النسيان . وقد تظهر العقد في الأحلام بصورة رمزية ، ويرى المحلل أنّ هناك رموزاً عامة مشتركة بين الأحلام ، فالملك يمثل الأب ، والشمس والقمر والكواكب تمثل الأب والأم والإخوة كما ورد في حلم يوسف.

- ٣ -

وقد ألقت أبحاث فرويد وينج وأتباعهم ضوءاً على الأحلام ، فكثر أحلام الخوف في مراحل الطفولة والمراهقة ، وتفسر بأنها خوف من عقد مكبوتة توشك أن تكشف عن حقيقتها فتفزع الشخصية الطبيعية ، وتتدخل في اللحظة المناسبة . والسير أثناء النوم رمز للصراع الذهني ، وتعتزل فيه الشخصية الرئيسية مكانها وتهبه للشخصية الثانية ، والقهقهة في الحديث دليل على صراع عقلي ، ربما سببه خوف الأب ، الذي قد يظهر في صورة استعمال الطفل ليده اليسرى رغبةً في المخالفة . ويرى فرويد أن النسيان وعثرات اللسان وتجنب تعبيرات خاصة مظاهر الكبت ، كذلك المبالغة في العناية بشيء ، وسقوط أداة ، وبقعة تصيب الخطاب عفواً ، وخطأ في عبارة ، كلها عقد تسللت والرقيب نائم ، أو تنكرت وخدعته فظهرت في الشعور ودلت على دوافع خفية . ومظاهر ذلك في المدرسة عبث التلميذ بكراسته وهروبه من المدرسة ، وعثرات لسانه . وكل مظاهر الشذوذ رمز لا شعوري لعدائه للمدرسة والنظام والدرس ، ومن يحضر متأخراً عن ميعاده يعبر تعبيراً لاشعورياً عن كبت في نفسه رغم اعتقاده بأنه لا يقصد الاهمال أو المعاكسة . وقد يدل الحماس الزائد المبالغ فيه على عكسه ليغطي الفرد به ما يكبت في لاشعوره ، فمن ذلك النظافة المبالغ فيها ، التي قد تغطي شعوراً بإثم باطن ، ومنه محاولة عمل يفوق الطاقة تعويضاً عن ضعف أو انحطاط ، ومنه قسوة النقد على الغير تغطية لخطأ مكبوت . ولكل من يسعى الى علاج الطفل المشكل أن يرجع الى معين اللاشعور وصور الصراع النفسي ، وتتعدّد هذه المشاكل في مراحل المراهقة ، فقد يفشل المراهق في التكيف مع العالم الخارجي ، فيشغل بما في عالمه النفسي وينطوي على ذاته أكثر مما يتصل بالعالم الخارجي ، ونتيجة ذلك أن يكوّن فكرة سيئة عن العالم ، وينغمس في أحلام اليقظة التي تنسج له عالماً وهمياً يحيا فيه وفق رغباته . وكثيراً ما يشكو المراهق من التعب ، والأمراض الوهمية ، ويسعى للنوم ، وذلك تعبير عن عجزه عن مجابهة حقائق الحياة ، ورغبته في الانسحاب من معركتها .

***

وليست الراحة مهرباً له من مشاكله ، وإنما العلاج إشراكه في النشاط الخارجي ، والرياضة دواء لمشاكله البسيطة ، ففيها مجال يعبر فيه المراهق عن ذاته ، ولا بدّ من عناية خاصة لمشاكله المعقدة ، فربما انتهى الصراع النفسي بالجنون .

وقد يؤدي الفشل في التكيف إلى نكوص ورجوع الى مرحلة أولى ، يشعر الفرد بأنه

كان أكثر راحة فيها منه في حاضره ، ويظهر ذلك في التعلق بالقديم ورفض استبداله بالجديد وربما تحمل الآباء مسئولية ما يحدث من وقوف نمو أبنائهم عند مرحلة أو نكوصهم إلى مرحلة أولى إذ يؤدي بهم الحنان الى خلق ابن متواكل يعتمد عليهم في كل صغيرة وكبيرة ولا يسمحون له باستقلال في الرأي والتفكير . ومن مهمات التربية أن نساعد الناشىء على الاستقلال في كل المشاكل ، والاعتماد على نفسه وتفكيره في مجابهة الحياة .

* * *

ومرحلة المراهقة هي مرحلة الشذوذ والاجرام إذا اشتد الفشل في التكيف ، فيحدث نكوص يرجع بالمراهق الى مستوى الطفل الغريزي ، فيدع غرائزه تعبر عن نفسها تعبيراً غير اجتماعي . وربما كان للغريزة الجنسية أثر في أخطر الجرائم ، وربما كانت الجريمة مظهراً لغريزة السيطرة معكوساً بعد أن فشل صاحبها في توجيهها توجيهاً اجتماعيًّا ، فقام المجتمع مقام الأب المكروه ، دون أن يدري المجرم سبب ارتكابه لجريمته . وربما كان الهرب من المدرسة مظهراً للتمرد على سلطة الأب ، أو رغبة في الاستقلال أو السيطرة ، وربما كان مظهراً للبقاء تحت كنف الأبوين أو ثورة عليهما . كذلك الكذب فهو مظهر لعقدة مكبوتة في الأعم الأغلب . والسرقة مسلك شاذ للتعبير عن غريزة حب التملك ، وربما كانت مظهر ثورة على الأبوين حل المجتمع محلهما . وعلاج ذلك كله إعلاء الغريزة وتوجيهها توجيهاً اجتماعيًّا مرغوباً فيه ، وعلى المربين أن يوفدوا في المدرسة مجال إعلاء هذه الميول ، ولا ينفع العقاب كما يضر ، وإنما يزيد في دفع المذنب إلى جانب العداوة للمجتمع ، والكبت في التربية من الأمور الخطرة الخاطئة ، وإنما يوفر المربي المجال لكل الدوافع حتى يعبر عن نفسها ويشرف على ذلك إشرافاً يصحبه الحنو والعطف وصدق الفهم . وإذا أردنا أن نربي شخصيات مثالية ، تخلق مجتمعاً راقياً تقيًّا نبيلاً متحرراً ، ففي مرحلة المراهقة بدء الطريق .

* * *

فهل تحبب مدارسنا الثانوية بإداراتها ونظمها ، ومناهجها وكتبها المراهق فيها ؟ وكم من أبنائنا يجتاز هذه المرحلة ولم يعترضه مظهر من مظاهر الشذوذ ؟ وما هي أسباب هذا الشذوذ ؟ إن في ذلك مجال ليفكر فيه الأب والمربي والمصلح .

محمود حامد شوكت

العناية بالدواجن

وتحسين أنسالها في روسيا السوفيتية

Stockbreeduig and the Artificial Insemination of Livestock. By V. K, Milonanov and I. I. Sokolovskaya. Trans. by Dr. A. G, Morton : London. Hutchinson : 1947 : 25s. net.

تحاول روسيا السوفيتية أن تسابق الامم في مضمار الرقي ، على أن يشمل ذلك جميع مرافق الحياة . وفي هذا الكتاب عرض للاساليب النظرية والعملية التي يؤمن بها علماء الروس في تحسين نسل الدواجن . ولقد نوه المؤلفان بالجهود التي بذلتها انجلترا في هذا الشأن في مقدمة الكتاب ، وأشادا بجودة بعض ضروب الدواجن التي استطاع العلماء والهواة في انجلترا أن يفوزوا باستخلاصها . ثم عطف المؤلفان على نظرية « دارون » في قابلية تغاير الاحياء وعلى مذهبه في الانتخاب الطبيعي ، فاستغرق ذلك البحث الفصلين الاولين منه . وقد عززا نظرية « التغاير التقابلي » Correlated Variation بمشاهدات أثبتاها في الدواجن الروسية وأثبتاها بالتجارب التي أجرياها على كثير من أجزاء الجسم والانسجة في الغنم والماشية وألبانها ولحومها ، وأظهرا عملياً ما بين بعض هذه التراكيب وبعض من النسب الثابتة . وقد ذهبا الى ضرورة إيجاد البيئة ذات الحالات الصالحة لاستخلاص أنسال تؤدي أغراضاً خاصة بالانتخاب الطبيعي .

على أنهما لم يقتصرا على ذلك . بل تابعا البحث في نظريات جديدة ذهبا إليها ، كقولهما بأن النشاط العصبي يتفق كثيراً مع تكوين الجسم . وقد أيدا قولهما بمذهب « بافلوف » الروسي القائل بأن الحيوان الرقيق التكوين يكون فيه ضعف سواء أمن ناحية التنبه أم من ناحية الكبح على السواء .

وعقدا فصلا في التزاوج ، فقال ان تزاوج غير السويين ، أي أن يكون أحد الفردين ناقصاً والآخر كامل ، ليكمل الكامل منهما ناحية النقص في صاحبه ، نظرية مرفوضة ، وذهبا الى أن تزاوج الاسوياء هو الاسلوب الصحيح في تخليق الانسال ، وعطفا على أساليب الاستيلاد ، وبحثا في توالد الاقرباء ، وتوالد الانسال الصحيحة ، والتوالد بالتهجين ، وأبانا عن الاساس العلمي والعملي لكل من هذه الطرق .

ولا شك في أن أفيد فصول الكتاب هو الفصل المعقود على طريقة التلقيح الصناعي في الدواجن ، وشرح الطريقة المتبعة في روسيا في تلقيح الاناث بنوع من الورق مشبع بعناصر الذكور . وان كثيراً مما قرر المؤلفان في هذا الفصل يمكن تأييده عملا وعلماً وإن خالفا فيه بعض الاساليب التي جرى عليها علماء اختصاصيون في انجلترا وفرنسا والمانيا . ومما ذهبا إليه ان زيادة الحيوينات المنوية في التلقيح الصناعي أو قلتها عن نسبة معينة ، لها نتائج ضارة تصيب الالقاح ذاته . وقد ضربا على ذلك الامثال الكثيرة ، ووصفا الطرق التي تتبع في الفحص عن صفة اللقح (المني) قبل استعماله ، ومضيا في بحث الانتخاب الالقاحي في بييضات الارانب ، بأن ألقحاها بحيوينات ضربين مختلفين تمام الاختلاف .

ويتبع ذلك فصول كبيرة الفائدة في التفريخ والتوالد والتربية كلها قائم على أساس علمي وعلى أساليب عملية .

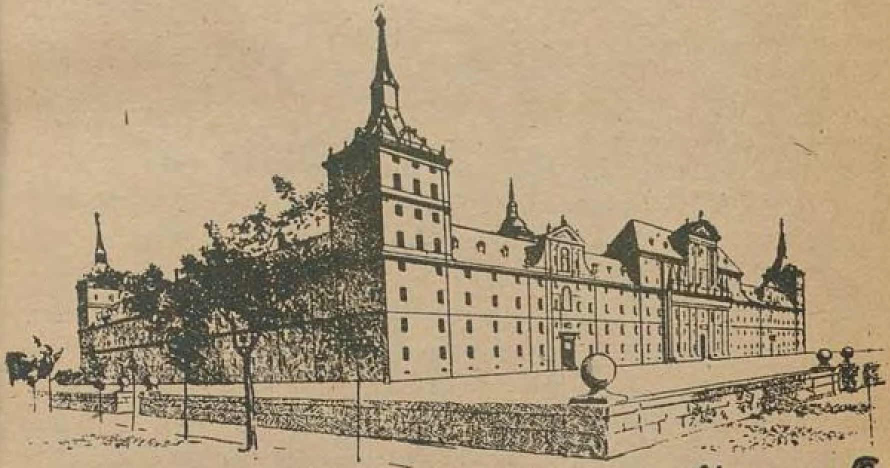
Ediciones G

قصر الاسكوريال

الاسكوريال

في صيف هذا العام أوفدت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بعثة من أساتذتها وطلبتها وخرّيجيها لزيارة معالم أسبانيا وأهم آثارها فكانت رحلة موفقة تمكنت البعثة خلالها من زيارة أهم مدنها ومعالمها ومن بينها الاسكوريال ثامن عجائب الدنيا .

ويطلق هذا الاسم على بناء مستطيل ضخم شاهق الارتفاع يضم بين جدرانه كنيسة ومكتبة وقصراً ملكيّاً ومقابر للملوك وديراً ، ويتقدم هذا البناء ساحة كبيرة تتناسب مع ضخامته كما يشرف على قرية صغيرة تعد ضاحية من ضواحي مدريد وتبعد عنها الى الجنوب بنحو خمسة وخمسين ميلاً ، وقد شيد الاسكوريال على السفوح الجنوبية لجبال سيرادي جوادي راما وعلى ارتفاع ٣٫٤٣٢ قدم فوق سطح البحر .

وقد اشتقّ اسم الاسكوريال من الكلمة اللاتينية المقابلة لها ومعناها النسخ . ولذلك نعتبر الاسكوريال نسخة أخرى من كنيسة القديس سان لورانس التي تهدمت من قبل وأعاد بناءها فيليب الثاني ملك أسبانيا (٥٦ — ١٥٩٨) في القرن السادس عشر تخليداً لذكرى هذا القديس وذلك على أثر انتصاره على الفرنسيين وطرد جيشهم في موقعة سانت كونتين في ١٠ من أغسطس عام ١٥٥٧ .

واستغرق بناء الاسكوريال نحو سبعة عشر عاماً ويشغل ساحة قدرها ٣٩٦٫٧٨٢ قدماً ويشتمل على سبعة أبراج وخمسة عشر مدخلاً وما لا يقل عن ١٢٠٠٠ نافذة وباب .

١ — ﴿ الكنيسة ﴾ : أهم المباني وأرفعها منزلة يحج إليها الاسبانيون من آن لآخر لعلو شأنها . كما أنها إحدى كنائس أوربا الهامة التي ترجع إلى عصر النهضة . وتبلغ مساحتها ٧٠٫٠٠٠ قدم تتوسطها أربعة دعائم ضخمة شيدت عليها قبة ترتفع قمتها ٣٢٠ قدماً ويتصدر القبة المكان المقدس (المذبح) ويصعد إليه بنحو ست عشرة درجة وهو من عمل أحد مشاهير الرسامين البلجيكيين ويقدر ثمنه بنحو ثمانية ملايين من الجنيهات .

٢ — ﴿ المكتبة ﴾ : تقع فوق الايوان الرئيسي للكنيسة وهي من أشهر ، بل من أعظم مكاتب العالم لما تحتويه من مخطوطات قديمة قيمة ، كان بعضها ملكاً خاصاً للملوك

الاسبان والبعض الآخر وصل إليها عقب انتصارهم على سلطان المغرب مولى زيدان (١٦٠٣ ـ ١٦٢٨) كما حفظ بها مخطوطات الكنائس والأديرة العديدة حتى لا تصل اليها يد العابثين من الثوار وقت الاضطرابات التي تعرضت لها اسبانيا في العصور السالفة وبها أقدم مجموعة من المخطوطات العربية والعبرية واليونانية واللاتينية البالغ عددها ٤٠٠٠٠ مخطوط منها كتابان مقدسان يرجعان إلى القرن العاشر ، وأخريان إلى القرن الحادي عشر كما حفظ بها بعض أعمال الفونسو الحكيم (١٢٥٢ـ١٢٨٤) ومصحف من القرن الثالث عشر زخرفت هوامشه وفواصله بألوان زاهية لا زالت محتفظة بجمالها إلى اليوم . ويدل تسامحهم الديني على عرض هذه الكتب المقدسة بجانب بعضها في قاعة واحدة ، بل وعلى منضدة واحدة ، كما عرض على إحدى هذه المناضد كتاب « السلوان المطاع » وهو كتاب قصصي تاريخي مزين بالصور التوضيحية ويرجع تاريخه إلى عام ١١٧٦ . وزخرفت هذه القاعة وسقف المقبرة برسوم الفرسكو لاشهر الفنانين الاسبان .

٣ — ﴿ المدافن الملكية ﴾ : خصص الطابق الأول من هذا القسم للمدافن الملكية فأقيم تحت مذبح الكنيسة حجرة مثمنة خصصت لدفن الملوك والملكات يمكن الوصول إليها من داخل الكنيسة أو من خارجها . يتصدر هذه الحجرة المثمنة المسيح واصطفّ عن يمينه وعن يساره ستة وعشرون تابوتاً من الخشب النفيس المطعم بالعاج والأحجار الكريمة لا يزال ثلاثة منها خالية تنتظر رفات من يوافيه القدر .

وتؤدي هذه الحجرة إلى دهليز يوصل إلى حجر صغيرة خصصت لدفن باقي أفراد العائلة المالكة من الأمراء والنبلاء وهي مقابر من المرمر أو الرخام البديع الصنع يعتلي بعضها تماثيل لاصحابها على وسائد يحصبها الرائي وسائد من ريش النعام كما نقشت عليها نبذة تاريخية مع شارته الملكية . وينتهي هذا الدهليز بحجرة صغيرة يتوسطها مقابر صغيرة على شكل دائرة خصصت للاطفال الابرياء دون سن السابعة من أبناء الملوك ولذلك تسمى هذه الحجرة بحجرة الابرياء .

٤ — ﴿ القصر ﴾ . سمت نفس فيليب الثاني عن الدنيا وزهدت في الملك فأراد أن يتقرب الى الله بروح خالصة فبنى له بجوار بيت الله قصراً متواضعاً بعيداً عن أبهة الملك وجلاله وزوده بالقليل من الرياش والأثاث وزينه بالرسوم فجاء آية من الجمال الفني وفي غاية الروعة طليت جدرانه وسقوفه بأبدع ما انتجه الفنانون الاسبان والبلجيك من رسوم الفريسكو أمثال بللجرينو ، وبارتلوميو ، ولويس دي كاربجال ، وتيبالدي ، وتيبيان ، وتنتوريتو ، والجريكو وجورديا وروبينو وكاتون وبن فولتيني وشيلني . كما غطى بعض جدرانها بالسجاجيد

المكتبة في قصر الاسكوريال

الفاخرة نسجت خيوطها من أسلاك ذهبية وحريرية في المصانع الملكية عليها رسوم دينية واجتماعية زاهية اللون كسجاجيد حجرة الاستقبال من رسم جويا. وزوّدت هذه الابهاء بالستر النفيسة والثريات الرائعة. وروعي أن يسود بعض هذه الأبهاء لون واحد كالأخضر أو الأصفر أو الأحمر وعرفت بعض الصالات بهذه الأسماء.

وتتوسط هذه القاعات قاعة العرش تتصدرها منصة مرتفعة تعلو عن الأرضية بدرجتين وأقيم عليها كرسي العرش لجلوس الملك، أما الملكة نخصص لها كرسي بجوار الحاشية على خلاف العروش الأوربية الأخرى حيث تجلس الملكة بجوار الملك على منصة واحدة.

يجاور قاعة العرش قاعة أخرى من رسم الرسام البلجيكي روبينو، ثم يليها قاعة السفراء، وأخرى لمكتبه الخاص صنعت من خشب العود الخالص وغيرها لعبادته من خشب الابنوس رسم رسومها الرسام بن فولتيني، أما حجرة الصيد فمن طراز بومبي. وهناك قاعة طويلة زين جانب منها بالفريسكو برسوم تمثل المواقع الحربية التي وقعت بين جون النمسوي ومحمد الثاني أثناء القرن السادس عشر.

وقد تعوّد الملوك الذين تعاقبوا بعد فيليب الثاني على اسبانيا أن يتخذوا من هذا القصر حجراً خاصّة لهم شملوها ببعض التعديل.

هذا في الطابق الثاني، أما الطابق الأول فقد خصص لسكن فيليب الثاني ولم يقطنه أحد سواه سوى ابنه منذ القرن السادس عشر. ولذلك لا تزال حجراته محتفظة بطابعها القديم وفرشها وأثاثها بنظامها الذي كان أيام فيليب ومن بينها حجرة نومه وسريره الذي فاضت عليه روحه في ١٣ سبتمبر سنة ١٥٩٨

أما باقي بناء الأسكوريال فقد خصص لسكن الرهبان الذين يشرفون عليه. ولا يزال الأسبان يعتدون بهذا الأثر الجليل ويحيطونه بكل روعة وجمال ودأبوا على المحافظة عليه رغم الحوادث التي توالت عليه وما تعرض له من دمار بعض أجزاءه عقب الحريق العظيم عام ١٦٧١ ولم ينجُ منه إلاّ الكنيسة وجزء من القصر وبرجان، كما تعرّض البناء جميعه لانتقام الفرنسيين ١٨٠٨

ويقصد الأسكوريال من آن لآخر كثير من المشتغلين بالفن والآثار ودراسة المخطوطات القديمة.

محمد رجب البيلي

مشهد من مسرحية كليوباترا

للشاعر محمد فهمي

(منظر بهو في القصر الملكي . تسمع موسيقى هادئة وتشاهد الملكة كليوباترا
جالسة على عرشها بملابسها الزاهية الفاتنة في حالة تفكير وعلى مسافة منها
جمع من الراقصات الجميلات تخاطبهن رئيستهن)

رئيسة الراقصات : يا صبايا تبارين في كل مبتكرْ
ولتكنْ رقصة المنى لانطونيو اذا حضرْ

كليوباترا وكأنما تناجي نفسها : —

يا فؤادي أي سرٍّ دهانا   هاج بالقلب والفؤاد هوانا
كان قبلاً نسائماً تتهادى   فغدا اليوم نافثاً نيرانا
يا غراماً نموتَ طفلاً لعوبا   كيف ألقَى على يديك الهوانا
من لقلب مكبلٍ كأسيرٍ   ويرى الناس حوله عِبدانا
كم يروع الجلالُ منه البرايا   إنه الآن يستجيش حنانا
قدرٌ قد أهلَّ يوم التقينا   آه .. مما جرى به لقيانا
رحت أسعى اليه بين فتون   بأمر اللب .. فاستُطير جنانا
فوق فُلك كأنها خِدع الوهم   بهاءٌ وروعةٌ وافتنانا
قد سباه الجمال فهو أسيري   كيف أنطونيو تسومني طغيانا ؟
أكذا الحب هادئٌ فجميلٌ فغُرامٌ . من مجيري ؟ وقد غدا بركانا !

هي وكأنما تنبهت : —

ايه لا . لا . فؤاديَ رفقاً   انظر الآن ما ترى عقبانا ؟
كل طاغٍ لمصر باغٍ عدوٌّ   راح يهوي وكم دعى ذؤبانا
ان للحب غفلةً فتيقظ   حق مصرٍ يفوق حق هوانا

(تسمع أصوات أبواب تنطلق فجأة خارج البهو . يدخل أنطونيو متجهاً نحو الملكة)

أنطونيو [بلهفة] : كليوباترا ملاكي

كليوباترا وقد همت لاستقباله : أنطونيو حبيبي!

انطونيو : قد هاج بي شوق اليك يهزني   جم النوازع ثائر الصبواتِ
كم راح يهتف في الضلوع مدوياً   أنت الحيـاة وضيئة البسمات
أغشى المعامع كالقضاء وهوله   فاذا ذكرتك رقرقت عبراتي !

كليوباترا : حقـاً أتصدقني ؟

انطونيو :   وأقسم جاهداً   اني أترجم صادقاً خفقاتي
لو شئتِ خضتُ النار أبسم هازئاً   أو شئتِ بدلتُ الحياة مماتي

كليوباترا : حاشا أشاء .. ومن يصاول في الـــوغى بطعان جبارٍ وعزمة عات ؟
ويذود اعداءً إذا هم بيّتوا   ومشت جحافلهم الى عتباتي
تغلي بنار الحقد هاج ضرامها   حسدٌ تأجج في صدور عداتي
رب الـكماة ومن تملك مهجتي   أترى نحقق حالم الرغبات ؟

أنطونيو : فيكِ تمثّل عذب أطياف المنى   فتناً .. تهدهد حسنَها خطراتي
فدعي حديث الحرب .. عندك ربها   إن هب روع .. تلقه عزماتي
الحرب في عينيك . يالأوارها   أعيا إله الحرب . أين ثباتي !
(ينحني عليها مطوقاً)

كليوباترا متنهدة :

ويح الوشاة وويح ما يصفونه   قد أكثروا من حولنا الشبهات
أزروا بقدس الحب فيما ثرثروا   واستمرأت أحقادهم حرماني
هل يعلمون بأنه الحب الذي   يطغى عليك وأكتوى حرقاتي؟
ماذا عليهم لو تدارك مكثرٌ

انطونيو :   فليكثروا .. ها أنتِ أنت حياتي
(يضمها مقبلاً)

تشريح الهر

Functional Anatomy of the Mammal. A Guide to the Dissection of the Cat and an Introduction to the Structural and Functional Relationship between the Cat and Man By Prof. W. James Leach.

London, McGrow-Hell Book Co. 1946. 12s. 6 d.

إن اختيار حيوان ثديي للتشريح يصلح أن يكون تشريحه مدخلا لعلم التشريح الانساني ودرس وظائف أعضائه ، قد اقتصر الى الآن على الارنب والفأر . ولكن الحيوانات القواضم : Rodents التي منها هذين ، أقل ملاءمة لهذا الغرض من الحيوان اللاحم Cornivore فان اللواحم أقل بدائية من القواضم ، وأقرب تركيباً من الانسان . لهذا نوه كثير من العلماء بظهور هذا الكتاب ليكون مدخلا لتشريح ذوات الثدي ، لاسيما وان الهر حيوان كثير الوجود ويسهل أن يحصل عليه المشرحون.

ولقد مضى المؤلف يعقد موازنات بين تشريح الهر والانسان وخصائصهما الوظائفية ، ووضع ملخصات مفيدة للطالبين . وعقد بحثاً في تأثير الوضع الجسمي على التكييف التركيبي وبخاصة فيما يتعلق بانتصاب القامة في الانسان ، توخى فيه سهولة العرض والاداء اذ استطاع أن يتخلص من استعمال كثير من المصطلحات اللفظية التي تحشى بها المتون العلمية . ومن الفوائد التي لا تنكر في هذا الكتاب ملخصات وضعها المؤلف في وظائف الاعضاء وآلية العضلات وجراحتها ، وغير ذلك من الاشياء التي تحتاج إليها الممرضات أو الاطباء المبتدئين.

وعطف المؤلف بعد ذلك على الجهازات المختلفة في الجسم ، وبحثها عمليا في هرر حقنت بالمحدرات. وقد قيل في بعض النقود التي وجهت الى الكتاب أن المؤلف اذا كان قد اتخذ من صغار الهرر موضعاً لبحثه بدل الهرر البالغة ، لكان عمله أوفى ، فان أجزاءها الدقيقة تكون أبين ولو أنها أصغر حجما ، وإن هذا أظهر ما يكون في الجهاز العصبي السمبتاوي الذي يمكن استبانته بجلاء وسهولة بالنظر الي كبر حجم العقد وصفة الانسجة الضامة اذ تكون هلامية القوام .

حافظ وشوقي

صدى الحوادث عند الشاعرين

مرّت بالشرق العربي والعالم الاسلامي عامةً وبمصر خاصةً خلال الحقبة التي عاشها الشاعران أحداثٌ وحوادث كان لها أثرٌ قويٌّ في قرائح الشعراء وقتذاك ، فانطلقوا يسجّلونها ، كلٌّ على قدر طاقته ومواهبه ، وحسب الأثر الذي تركه كلٌّ منها في نفوسهم ، فكانت قصائدهم صدى هذه الأحداث ومعرض هذه الحوادث . وكان شاعرانا من المجلّين في هذه الحلبة .

لذلك نطوي السنين القهقرى حتى هذه الحقبة لنستمع إلى صدى هذه الاحداث والحوادث عند هذين الشاعرين ، ولنرى كيف تصرّف كلٌّ منهما فيها بفنّه ومدى توفيق كلٍّ منهما في هذا التصرف . فتبرز لنا في مقدمة هذه الحوادث والاحداث :

حادثة دنشواي

في ١٣ من يونيه سنة ١٩٠٦ وقعت هذه الحادثة حيث ذهب بعض الضباط والموظفين البريطانيين لصيد الحمام في هذه البلدة فأصابت رصاصةٌ من رصاصاتهم امرأة وحرقت جُرناً فتجمع الأهلون غاضبين فاعتدى البريطانيون عليهم بأسلحتهم ، ولكن القوم حملوا عليهم بالطوب والعصيّ وانتزعت منهم أسلحتهم فجُرح بعضهم جروحاً خفيفة ، وفرّ منهم جريح وظلّ يعدو نحو المعسكر حتى أصابته ضربة الشمس بعيداً عن هذه البلدة . وثارت ثائرة الانجليز لهذه الحادثة فعقدوا محكمة عسكرية قضت على واحد وعشرين رجلاً بأحكام مختلفة أعدم منهم أربعة . وقد صدر هذا الحكم في ٢٧ من يونيه سنة ١٩٠٦ أي بعد الحادثة بأربعة عشر يوماً .

ولقد كان لهذا الحكم الوقع السيء في النفوس ، وأثار الزعيم المرحوم مصطفى كامل سخط العالم على هذا الحكم . وهبَّ بعض النواب الأحرار من البريطانيين يناقشون الحكومة في البرلمان عن هذا العمل المنكر . وكانت حملة مصطفى كامل عاملاً قويًّا زعزع مركز كرومر فاستقال من منصبه بعد شهور .

تلك حادثة دنشواي التي يقول عنها الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك إنها « من حوادث مصر التاريخية التي لا تنسى على مرّ السنين لما كان لها من الأثر البليغ في تطوُّر الحركة الوطنية وفي مركز الاحتلال الانجليزي ، فهي نهاية عهدٍ كان الاحتلال يتمتع فيه بالإستقرار والطمأنينة ، وبداية مرحلة جديدة من مراحل الجهاد القوميّ عمَّ فيها الشعور الوطنيُّ بعد أن كان الظنُّ أن سواد الأمة راضٍ عن الاحتلال » (١) — هذه الحادثة وجدت في شعر حافظ صداها قبل أن تجده في شعر شوقي ، ولا ندري السبب الذي أخّر شوقيًّا عن تناولها في وقتها ، ولعلَّ منصبه في القصر وصِلَتَه به كشاعر ربّ القصر هما اللذان حالا دون تناوله هذا الحادث حتى حدث من كرومر ما حدث بعد ذلك من إهانته للمصريين والخديو اسماعيل في الخطابة التي ألقاها في الحفلة التي أُقيمت توديعاً له . فرأى شوقي أن الجوَّ ملائم للقول في هذه الحادثة بعد مرور عام عليها وذلك بمناسبة طلب العفو عن سجنائها . وقد نشرت هذه القصيدة بجريدة « اللواء » في ٢٧ من يونيه سنة ١٩٠٧

أما حافظ فقد ردّد ذكر هذه الحادثة في أكثر من قصيدة ، وكان أول ما نظمه فيها قصيدته الدالية التي نشرت في ٢ من يوليه سنة ١٩٠٦ أي بعد صدور الحكم بخمسة أيام ، وفيها يقول :

جاء جهّالنا بأمرٍ وجئتم   ضِعف ضعفيهِ قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتلَ إن ضننتم بعفوٍ   أقصاصاً أردتمُ أم كيادا ؟
أحسنوا القتل إن ضننتمْ بعفوٍ   أنفوساً أصبتمُ أم جمادا ؟
ليت شعري أتلك (محكمة التفتيش) عادت   أم عهد (نيرون) عادا ؟
كيف يحلو من القويّ التشفّي   من ضعيفٍ ألقى اليه القيادا ؟

---

(١) كتاب « مصطفى كامل ، باعث الحركة الوطنية » للاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك — ص ٢٠٠

إنها مُثْلَةٌ تشفُّ عن الغيـ ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

وهذه القصيدة على ما فيها من السخرية التي أرادها في قوله :

واذا أعوزتكمُ ذاتُ طوقٍ بين تلك الربا فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواءٌ لم تغادر أطواقنا الأجيادا

لم تخلُ من حذر في توجيه الخطاب الى الانجليز ، وكان جديراً أن تكون قاسية كل القسوة لأن الشاعر كتبها بعد صدور الحكم ونفوس المصريين تغلي حقداً وكراهية ، فهو يبدأها بهذا البيت اللين الناعم حيث يقول :

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟

ثم يقول فيها :

أكرمونا بأرضنا حيث كنتم إنما يكرم الجوادُ الجوادا
أمة النيل أكبرت أن تعادي من رماها وأشفقت أن تعادَى

في حين أنه تناول « المدعي العمومي » في هذه القضية ، وهو مصريٌّ ، بالنقد الجارح الشديد والتهكم اللاذع المرير . وكان المغتصبون الجناة أولى بمثل هذه القسوة والشدة في النقد والتجريح لأن تهكمه في أبياته التي قالها فيهم لينة وادعة بجانب قسوته على « المدعي العمومي » المصري . حيث قال فيه بعد أبيات لاذعة :

إيهِ يا مِدْرَه القضاء ويامن ساد في غفلة الزمان وشادا
أنت جلادُنا فلا تنسَ أنّا قد لبسنا على يديك الحِدادا

وفي قصيدة أخرى وجّه القول فيها إلى كرومر وأشار الى ما ادعاه البريطانيون على المصريين من أن السبب في حادثة دنشواي هو التعصب الديني من المسلمين في مصر فهو يدفع هذا بقوله :

إن أرهقوا صيّادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا
ولربما ضنّ الفقير بقوته وسخا بمهجته على من يغضبُ

ثم يصف الشاعر هذه الحادثة في الأبيات التالية ، ويصور هول تنفيذ الحكم فيمن اتهموا تصويراً بلغ حد الروعة نحسُّ فيه قسوة الحكم الظالم العجيب في تاريخ القضاء ، وما

أصاب المحكوم عليهم من حيرة وذهول أمام هذه القسوة فيقول :

في دنشواي وأنت عنا غائبٌ   لعب القضاءُ بنا وعزّ المهربُ
حسبوا النفوس من الحمام بديلةً   فتسابقوا في صيدهنّ وصوّبوا
نُكبوا وأقفرت المنازل بعدهم   لو كنتَ حاضر أمرهم لم يُنكبوا
خلّيتهم والقاسطون بمرصدٍ   وسياطهم وحبالهم تتأهبُ

ثم يقول في لفتةٍ عجيبة وتصويرٍ رائعٍ :

جُلدوا ولو منّيتَهم لتعلّقوا   بحبال من شُنقوا ولم يتهيّبوا
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأهّلوا   بلظى سياط الجالدين ورحّبوا
يتحاسدون على الممات ، وكأسُهُ   بين الشفاه وطعمه لا يعذُبُ
موتان : هذا عاجلٌ متنمرٌ   يرنو ، وهذا آجلٌ يترقبُ
والمستشار مكاثرٌ برجالهِ   ومعاجزٌ ومناجزٌ ومحزّبُ
يختال في أنحائها متبسماً   والدمع حول ركابهِ يتصببُ

* * *

هاتان قصيدتان من شعر حافظ تناولتا هذه الحادثة ، فأما الأولى فأسلوبها خطابيٌّ تقريريٌّ ، وأما الثانية فتصويريةٌ امتزج فيها الواقع بالخيال ... فلننظرْ في قصيدة شوقي التي نظمها بعد مرور العام عند طلب العفو عن سجناء هذه الحادثة . وذلك بعد أن استقال كروم وعاد الى وطنه ، وفيها يقول :

يا (دنشوايَ) على رُباكِ سلامُ   ذهبتْ بأنس ربوعكِ الأيامُ
شهداءُ حكمكِ في البلاد تفرقوا   هيهات للشمل الشتيت نظامُ
مرّت عليهم في اللحود أهلّةٌ   ومضى عليهم في القيود العامُ
كيف الأرامل فيك بعد رجالها   وبأي حالٍ أصبح الأيتامُ
عشرون بيتاً أقفرت وانتابها   بعد البشاشة وحشةٌ وظلامُ
يا ليت شعري في البروج حمائمٌ   أم في البروج منيّةٌ وحِمامُ
(نيرون) لو أدركتَ عهد (كرومر)   لعرفت كيف تنفّذ الأحكامُ

ثم يلتفت الى فظائع الحكم في القضية يصوّر هوله فلم يقدّر له أن يبلغ روعة الصورة التي رسمها حافظ — مع قدرة شوقي التصويرية — ويبدو في قصيدة شوقي مدى التأثر بقصيدة حافظ البائية التي ذكرناها ... قال شوقي :

نُوحي حمائم دنشواي وروّعي   شعباً بوادي النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالت بينه   سَحراً وبين فراشه الأحلامُ
متوجعٌ يتمثل اليوم الذي   ضجّت لشدة هولهِ الأقدامُ
والمستشار الى الفظائع ناظرٌ   تَدْمى جلودٌ حوله وعظامُ
في كل ناحيةٍ وكل محلةٍ   جزعاً من الملإ الأسيف زِحامُ
وعلى وجوه الثاكلين كآبةٌ   وعلى وجوه الثاكلات رَغامُ

تلك حادثة من الحوادث الكبيرة التي أثارت الشعور في مصر ، وأثارت الرأي العام في العالم ، وقد أثارت شاعرية حافظ ثم أثارت شاعرية شوقي . على أن الباحث المنصف يرى قدرة حافظ في تصوير هذه الحادثة فقد وفّق في إبراز صورته مكتملة لعناصر القوة والحركة على حين نجد صورة شوقي ينقصها ذلك ، وكما وُفّق حافظ في إبراز صورة هذه الحادثة فقد كان السبّاق الى تسجيلها والتأثر بها .

وداع كرومر

وفي ابريل سنة ١٩٠٧ استقال اللورد كرومر من منصبه فودّعه الشاعران بقصيدتين ، فأما قصيدة حافظ فهي عندي أقرب الى المقال الصحفيّ يريد كاتبه أن يجعل من نفسه مؤرخاً ، يعرض شتى الآراء ، وكذلك شاء حافظ أن يحمّل الشعر في هذا الظرف هذه المهمة ، فكان في هذا مسجّلاً فاته الشعور كما أخطأه الإحساس الوطنيُّ ، فهو بعد أن يذكر لكرومر ما يراه من فضل ، قائلاً إننا لسنا « أمة تجحد اليدا » يعود الى ذكر أقوال المهاجمين لسياسة كرومر ويختم قصيدته بهذه الأبيات :

فهذا حديث الناس والناس ألسُنٌ   إذا قال هذا ، صاح ذاك مفنّدا
ولو كنتُ من أهل السياسة بينهم   لسجّلتُ لي رأياً وبلّغتُ مقصدا

ولكنني في معرض القول شاعرٌ   أضاف الى التاريخ قولاً مخلّدا
فيأيها الشيخ الجليل تحيّةً   ويأيها القصر المنيف تجلّدا
لئن غاب هذا الليث عنك لعلةٍ   لقد لبثت آثاره فيك شُهّدا

وأما قصيدة شوقي فهي أقرب الى روح الشعر وكانت غضبة على كرومر للموقف الذي وقفه في حفلة وداعه وتهجّمه على أهل هذا البلد وإهانته للخديو اسماعيل بدون أن يراعي شيئاً من المجاملة لابنه الذي حضر حفلة التوديع وهو الأمير — السلطان فيما بعد — حسين كامل. ولذلك نرى أن قصيدة شوقي قصيدة العاطفة بينا نرى قصيدة حافظ أقرب الى الصناعة. وليس أدلّ على شدة السخط عند شوقي من هذا البيت في قصيدته الذي يظهرنا على أنه كان منساقاً بعاطفته:

لما رحلت عن البلاد تشهدت   فكأنك الداءُ العياءُ رحيلا

على حين قال حافظ في تخاذلٍ عجيب يخاطب كرومر بهذه الأبيات :

أمِنّا فلم يسلك بنا الخوف مسلكاً   ونمنا فلم يطرق لنا الدّهرُ مرقدا
وكنتَ رحيم القلب تحمي ضعيفنا   وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
ولولا أسىً في دنشواي ولوعةٌ   وفاجعةٌ أدمتْ قلوباً وأكبُدا
ورميُكَ شعباً بالتعصب غافلاً   وتصويرك الشرقيّ غرّاً مجرّدا
لذُبنا أسىً يوم الوداعِ لأننا   نرى فيك ذاك المصلح المتودّدا

على أن شوقيًّا كان منصفاً للتاريخ القوميّ حين ردّ على كرومر بأنه إذا فاخر بشيء من العمل في سبيل تقدُّم هذا البلد فان هذا البلد لم يعدم وسائل الإصلاح في عهد محمد علي وفي عهد اسماعيل قبل ان يصاب الوطن بالاحتلال الانجليزي. في حين أغفل ذلك حافظ. ويظهر ان حافظاً أحسّ أن قصيدته هذه قد فقدت عنصر الشعور الوطني الصريح، فلمّح في قصائد أخرى بعد ذلك الى مساوىء العميد الراحل ولم يجعل عَرْض هذه المساوىء منسوباً الى آخرين كما حاول ذلك في قصيدته التي ذكرنا شيئاً منها، بل عرض هو هذه المساوىء بإحساسه ورأيه. ونحن لا نستطيع تعليل مسلك حافظ في هذا الموقف مع إنه لم يكن مقيداً بشيء ومهما يكن من شيء فإن هذا الحادث لم يجد فيه الفنّ الشعريّ عند الشاعرين أثراً

يعتدُ به الاعتداد الذي يجده في أشعارهما في حوادث أخرى . فلننظر في شيء آخر من الاحداث التي لقيت من فيض قريحتيهما ما هو جديرٌ بالخلود والبقاء .

وفاة مصطفى كامل

في ١١ من فبراير ١٩٠٨ خفق قلب مصر خفقة الجزع لمصاب البلاد في وفاة زعيمها الشاب مصطفى كامل باشا الذي بعث الحركة الوطنية في هذه البلاد بعد خمود ، وأيقظ الجهاد في النفوس بعد طول هجود ، وأقضَّ مضجع الغاصب وكان قد اطمأنَّ الى أن العزم في نفوس المصريين قد فتر ، وان روح الكفاح فيهم قد خمدت ، وان شعب وادي النيل قد استكان الى حالته ، حتى شاءت عناية الله بكنانته أن يستيقظ هذا الشعب — الذي شيب الزمان ولم يشب — على صوت جمع كل معاني القوة والفتوة ومضاء العزم ونزاهة القلب والضمير واليد واللسان في إهاب شابٍّ هو الشعلة المتقدة ، تخفق لصدى صوته كلُّ قلب ، وتحرك لندائه أبناء الوادي مستيقظين كما يستيقظ على ضوء الصباح كل حي .

ولكن هذه الشعلة من الوطنية التي كانت تحترق لتضيء الطريق للعابرين لم ترحم نفسها في بلوغ هدفها ، فكان مصطفى لا يسمع نداءً غير نداء وطنه ، ولم يستجب لنداء الجسد في حقه من الراحة لأنه لم يعرف الاستسلام واليأس . وهو الذي علم أبناء الوادي أن لا حياة مع اليأس وان لا يأس مع الحياة .

لذلك كان موت هذا الزعيم الشاب خطباً جسيماً روّعت له البلاد واصطكت لهوله الأسماع ووجفت القلوب ، واهتزت المشاعر فتدفقت قرائح الشعراء في رثائه ، ولا عجب فقد أحيا الشعور في البلاد .

وقد برزت من مراثي الشعراء فيه — يومذاك — قصيدة شوقي التي يقول في مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبانِ   قاصيهما في مأتمٍ والدّاني

وهذه القصيدة من عيون شعر الرثاء عند شوقي ، وقد صوّر فيها في دقة تامة إحساسه المتفجع في فقد صديق الصبا والشباب ، وصوّر آخر لقاء وإياه وهو يعوده في مرضه الأخير تصوير الأخ المفجوع في أخٍ عزيز . ولكن هذه القصيدة على دقة الإحساس فيها تخلو

من تناول حياة الفقيد السياسية تناولاً يجعلها صورة للراحل . فهي من هذه الوجهة يمكن أن يقال إنها مرثية لصديق عاديّ ، ولم يكن مصطفى بالفرد العاديّ في الناحية التي لمع فيها اسمه ، وهي الوطنية المتأججة .

كان على شوقي أن يصور هذا الجانب في الفقيد وأن يجلوها كل الجلاء لتكون الصورة واضحة المعالم عن سياسي كانت حياته كلها جهاداً وكفاحاً وإقلاقاً لراحة الغاصب وإشعالاً لنار الوطنية في النفوس ، وتطرُّفاً في هذه الوطنية .

وكان على شوقي — وقد زامل الفقيد في مراحل نموّه — أن يصوّر هذا الشعور الوطنيّ وهو ينمو مع صديقه حتى بلغ به هذا الحدّ من العظمة واسترعى أنظار الناس إليه ليس في مصر حسب ، وانما في شتى بلاد العالم.

كان عليه أن يتناول هذا الجانب من حياة الفقيد في مرثيته ، ولكنه على الضدّ من ذلك كان حذراً في مسّ هذا الجانب ، ما يكاد يقرب منه حتى يبعد عنه ، وما يكاد الموقف يجرُّه الى ذكر ذلك حتى يعود أسرع ما يكون الى التخلص من هذا الخاطر ، فهو حين يقول :

هل قام قبلك في المدائن فاتحٌ   غازٍ بغير مهنّدٍ وسنانِ ؟

يخيّل لمن يسمعه أنه سينتقل الى جهاد هذا البطل الذي أيقظ في نفوس أبناء الوادي روح الوطنية وأثار عزيمتهم للكفاح والجلاد ، وكانت خطبه ومقالاته وصحفه مدرسة للوطنية يتخرج فيها شباب الأمة وقد عرفوا معنى الحياة ، وان الشاعر سيذكر كل ذلك صريحاً واضحاً . ولكن لا يلبث السامع أو القارىء أن يجد الشاعر يقول بعد هذا البيت :

يدعو الى العلم الشريف وعنده   إن العلوم دعائم العمران

وبذلك يتخلص من شبح السياسة قبل أن يقوده الى ذكر شيء من ذلك في المرثية ، وينتقل فيتكلم في نواحٍ أخرى من حياة الفقيد حتى تقوده العاطفة المتقدة مرة أخرى الى غير ما يقصد فيقول :

عوفيتَ من حَرَب الحياة وحربها   فهل استرحتَ أم استراح الشاني
يا صَبَّ مصر ويا شهيد غرامها   هذا ثرى مصرٍ فنمْ بأمان
اخلع على مصرٍ شبابك عالياً   والبس شباب الحور والولدان

فلعلّ مصراً من شبابك ترتدي   مجداً تتيهُ بهِ على البلدانِ
فلو ان بالهرمين من عزماتهِ   بعض المضاء تحرّك الهرمانِ
علّمتَ شبان المدائن والقرى   كيف الحياة تكون في الشبّانِ

وهنا يتوقع السامع أن يجد الشاعر قد اقترب من أبرز النواحي في حياة مصطفى كامل — ناحية الوطنية التي لا تعرف المهادنة أو المسالمة في تلك اليقظة أو الحركة التي أقضّت مضجع الغاصب وزعزعت سلطان عميده بعد حادثة دنشواي ، وأنّ الشاعر سيضرب على الوتر الحساس في هذه الناحية ، ولكن شوقيًّا يثوب من هذه العاطفة التي تسوقه الى ما لا يقصد فيتنبه ، ويبتعد عن هذا ويقول ليختم المرثية :

مصر الأسيفة ريفها وصعيدها   قبرٌ أبرُّ على عظامك حانِ
أقسمتُ أنك في التراب طهارةٌ   ملكٌ يهاب سؤاله الملكانِ

ولعلّ سبب هذا الحذر مركز الشاعر من القصر — كما قلنا عند الكلام على موقفه من حادثة دنشواي — ومراعاته لظروف خاصة هي أنّ العلاقة القوية التي كانت بين الخديو ومصطفى كامل والتأييد الذي كانت تلقاه الحركة الوطنية من سموّه قد اعتراها في السنوات الأخيرة من حياة مصطفى شيء من الفتور فالجفاء ، فكان على شوقي أن يكون حذراً في الرثاء فلا يظهر شعوره في هذه الناحية لفقد الزعيم الوطني وإنْ أظهر شعوره بالألم والتفجع لموت الصديق الذي كان يهتف بقصائده ويجلّ فوق النيرات مكانه — على حدّ تعبيره — وقد صوّر شوقي في أبياته التالية مشهداً رائعاً للفقيد في مرضه حيث يقول :

ولقد نظرتُك والردى بك محدقٌ   والداءُ ملءُ معالم الجثمانِ
يبغي ويطغى والطبيب مضلّلٌ   قنطٌ وساعات الرحيل دواني
ونواظر العُوّاد عنك أمالها   دمعٌ تعالج كتمه وتعاني
تملي وتكتب والمشاغل جمّةٌ   ويداك في القرطاس ترتجفانِ
فهششتَ لي حتى كأنك عائدي   وأنا الذي هدّ السقامُ كياني
ورأيتُ كيف تموت آساد الشرى   وعرفتُ كيف مصارع الشجعانِ
ووجدتُ في ذاك الخيالِ عزائماً   ما للمنون بدكّهنّ يدانِ

وجعلتَ تسألني الرثاءَ فهاكه   من أدمعي وسرائري وجناني

فإذا كانت الظروف هي التي دعت شوقيًّا إلى أن يكون حذراً في رثاء مصطفى يومذاك فإننا سنرى بعد ذلك كيف وفّى شوقي حقّ صديقه الزعيم الوطني بعد أن خلص من قيود الوظيفة وأغلال الظروف .

فقد انتهز شوقي فرصة الذكرى السابعة عشرة للفقيد — أي في سنة ١٩٢٤ — وكانت البلاد قد تفرقت شيعاً ودبّ في النفوس دبيب التنافر والخُلف فقال شوقي :

إلامَ الخُلْفُ بينكمُ إلاما ؟!   وهذي الضجّةُ الكبرى علاما ؟!

وهذه القصيدة من أروع قصائد شوقي ، وهي الدليل على امتلاكه ناصية القول والتعبير عن آمال المصريين من حافظ في الدور الأخير من حياتيهما ، أو على الأصح بعد عودة شوقي من منفاه في سنة ١٩٢١ واستكانة حافظ الى قيده وصمته .

فلقد صوّر شوقي في هذه القصيدة العيوب التي وقع فيها القادة ودعت الى تأخير قضية الوطن .

* * *

والى جانب هذا التصوير أحسّ شوقي بأن الأسباب التي حالت بينه وبين الوفاء بحق صديقه الزعيم الوطني مصطفى قد زالت فصوّره في هذه القصيدة أروع صورة ، صوّره غير حذرٍ ولا متقيد بظروف فاستطاع أن يعطي الصورة الصادقة عن أبرز ناحية في حياة مصطفى ، وهي التي لم يصوّرها في مرثيته قبل سبعة عشر عاماً . . . قال — وهذا ما يعنينا من هذه القصيدة الآن :

شهيدَ الحق قم ترَهُ يتيما   بأرضٍ ضُيِّعت فيها اليتامى
أقام على الشفاه بها غريباً   ومرّ على القلوب فما أقاما
سقمتَ فلم تبت نفسٌ بخير   كأن بمهجة الوطن السقاما
ولم أرَ مثل نعشك إذ تهادى   فغطى الأرض وانتظم الاناما
تحمّلَ همةً ، وأقلّ ديناً   وضمّ مروءةً وحوى زماما

وما أنساك في العشرين لما   طلعت حيالها قمراً تماما
يهار اليك في النادي وترمى   بعيني من أحبَّ ومن تعامى
إذا جئت المنابر كنت قسًّا   اذا هو في عكاظ علا السناما
وأنت ألدُّ للحق اهتزازاً   وألطف حين تنطقه ابتساما
وتحمل من أديم الحق وجهاً   صراحاً ليس يتخذ اللثاما

* * *

تلك صورة صادقة لوطنية مصطفى ونبوغه ، وهذي صورة لجهاده يرسمها شوقي في هذه القصيدة أيضاً :

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً   سهرنا عن معلمهم وناما ؟
مهارُ الحق بغَّضنا اليهم   شكيمَ القيصرية واللجاما
لواؤك كان يسقيهم بجامٍ   وكان الشعر بين يديَّ جاما
من الوطنية استبقوا رحيقاً   فضضنا عن معتقها الختاما
غرسنا كرْمها فزكا أصولاً   بكل قرارةٍ وزكا مداما
جمعتهمو على نبرات صوتٍ   كنفخ الصُّور حرَّكت الرجاما
لك الخُطب التي غصَّ الأعادي   بسوْرتها وساغت للندامى
فكانت في مرارتها زئيراً   وكانت في حلاوتها بُغاما
بك الوطنية اعتدلت وكانت   حديثاً من خرافةَ أو مناما
بنيتَ قضية الأوطان منها   وصيَّرت الجلاءَ لها دعاما
هززتَ بني الزمان به صبيًّا   ورُعتَ به بني الدنيا غلاما

* * *

وفي سنة ١٩٢٦ نظم شوقي قصيدة ثالثة في مصطفى هي خواطر أوحتها اليه ذكراه . ويمكن أن يُقال إنها ردٌّ على قصيدته السابقة التي تناول فيها خلاف الأحزاب . فقد نظم قصيدته بعد إذ كان الصفاء قد عاد الى النفوس ، وتناسى الزعماء خلافاتهم ، ودعوا

أحقادهم ، واجتمعت كلمتهم ، وتآلفت أحزابهم صفاً واحداً . فهو يتذكر في هذه الآونة مصطفى ويقول :

أعوزَ الحقَّ ذائدٌ   والى «مصطفى» افتقرْ

ويخاطب أهل وطنه قائلاً :

أيها القوم عظّموا   واضع الأُسِّ والحجرْ
اذكروا الخطبة التي   هي من آيهِ الكُبَرْ
لم يرَ الناس قبلها   منبراً تحت محتضِرِ

ويلتفت الى زميل صباه فيقول :

يا أخا النفس في الصبا   لذةُ الروح في الصغر

ويهتف به بعد أبيات :

قم ترَ القوم كتلةً   مثل ملمومة الصخُرْ
جدّدوا أُلفة الهوى   والإخاءَ الذي هطر
ليس للخلف بينهم   أو لأسبابه أثر . . .

* * *

تلك مراثي شوقي في مصطفى . . . تبلغ المرثية الثانية منها حدّ الإبداع لأنها صورة حقيقية لذلك الزعيم ، أطلق فيها الشاعر نفسه على سجيتها ، ولم يتقيد فيها بشيء . ولولا ذلك التنبه والحذر اللذان أخذ نفسه بهما في مرثيته الأولى لارتفعت الى مرتبة المرثية الثانية أو فاقتها ، ولجمع فيها الى التفجع الأليم وصدق الاحساس مطابقةَ الصورة لصاحبها ، ولكان لها الى جانب روعتها في صدق الشعور جانبُ روعة الصدق في التصوير ، ولكنها فقدت هذا الجانب وخلت منه ففقدت أهمَّ جانب من رسالة مصطفى التي اشتهر بها وعاش لها ومات من أجلها ، وهو الجانب الذي يلتمسه الباحث الناقد عند الشاعر في تلك المرثية فيعز عليه .

حسن كامل الصيرفي

باب المراسلة والمناظرة

رد على نقد

كتب الأستاذ الفاضل رشيد السعد (القورنة — العراق) بالعدد السابق من المقتطف كلمة نقد رقيقة عن هفوة عروضية في قصيدتي « فراق » المنشورة بمقتطف يوليو هذا العام وقعت في البيت :

(من رآى . . . هول هذا المنظر الدامي مطيقا)

وأجيب أن الأمر خطأ مطبعي فقد صححتُ بنفسي « بروفة » تجارب الطبع وكان البيت هكذا :

من رآى ... يا هول هذا المنظر الدامي... مطيقا ؟!

* * *

وبعد صدور العدد راجعتُ ادارة المقتطف في هذا الأمر ومن حسن المصادفة كنت قد احتفظت بنسخة من تلك التجارب قبل أن تسقط من البيت « يا » فاعتذر رئيس المطبعة بسقوطها عند الطبع ولكن أُغفل التنويه عن ذلك وكان واجباً . على إني أشكر هذه الفرصة التي أتاحت لي الاتصال بالأستاذ رشيد اتصال روح بروح وإنه ليسرنا هذا الاهتمام النبيل الذي يبدو من القراء الأفاضل في مختلف أقطارَ العالم العربي حتى لنحس وكأننا عصبة واحدة قد اجتمعت على رفع شأن اللغة العربية والأدب العربي رغم تنائي الديار. وإني لأشكر للاستاذ رشيد حسن تقديره وجميل تعبيره ولعله لا يحرمنا اهتمامه في المستقبل والسلام

المخلص

محمد فهمي — القاهرة

مكتبة المقتطف

المُسْنَد

تطبعه دار المعارف بالقاهرة في أجزاء متتالية : وقد صدر منه ثلاثة أجزاء

لصديقي الأستاذ أحمد محمد شاكر العالم الثبت ، يد على أدبنا الديني وتراثنا الأدبي لا تنكر. فقد عمل منذ أن شب عن طوق التعلم على نشر الكتب القديمة بعد مدارستها والإكباب عليها والتوفر على الكشف عن مواضع الخطأ فيها ، حتى لقد أصبح كتاب يحققه الأستاذ، من المراجع التي يوثق بها . وآخر أثر من هذه الآثار الأدبية الرائعة الطبعة الجديدة من كتاب المسند في الحديث للعلامة احمد بن محمد بن حنبل إمام الاسلام ومثله الأعلى في صدر الاسلام

ولقد قدّم الأستاذ لهذه الطبعة الفريدة بمقدمة مستفيضة شرح فيها الأسلوب الذي انتحاه في تحقيق الأحاديث ، وأبان عن الطريقة التي انتحاها في وضع فهارسه ، وقد مكث أياماً طوالاً يضع خطط العمل ومناهجه ، ويغير فيها ويبدّل ، حتى استقامت له السبيل ووضح النهج واستنار ، فشرع في العمل » . قال :

« وجعلت لأحاديث الكتاب أرقاماً متتابعة من أول الكتاب الى آخره ، وجعلت هذه الأرقام كالأعلام للأحاديث ، بنيت عليها الفهارس التي ابتكرتها كلها » .

أما الفهارس اللفظية فهي : (١) فهرس للصحابة رواة الأحاديث رتب على حروف المعجم : (٢) فهرس الجرح والتعديل : (٣) فهرس للأعلام : (٤) فهرس الأماكن : (٥) فهرس لغريب الحديث .

أما الفهارس العلمية فهي الأصل لهذا العمل العظيم. وقد بنيت هذه الفهارس على الأرقام التي رقم بها الأستاذ الأحاديث ، وهي أرقام مسلسلة تجعل العثور على الحديث سهل هين حتى ولو تعددت طبعات الكتاب فيما بعد . قال محقق المُسنَد حفظه الله :

« وأرجو أن يكون عملي هذا محققاً لكلمة الامام أحمد لابنه عبد الله : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » . وهي الكلمة التي رواها ابن الجوزي في مناقب احمد

س ١٩١ وجعلناها في صدر هذا الكتاب عنواناً له » .

قال : « وقد قال الحافظ الذهبي ، فيما رواه عنه الحافظ شمس الدين بن الجزري في كتاب « المصعد لأحمد » : « فلعلّ الله تبارك وتعالى أن يقيضَ لهذا الديوان السّامي من يخدمه ويبوّب عليه . ويتكلم على رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه ، فانه محتوٍ على أكثر الحديث النبوي ، وقلّ ان يثبت حديث إلاّ وهو فيه » .

على أن في صدور هذه الطبعة من المسند لفرصة انتهزها للكلام في بعض أشياء تتعلق بالأحاديث الاسلامية . ولكن المقام هنا قد يطول . فإن الكلام في هذا الباب يتناول نواحي شتى من التاريخ والاجتماع ، ولا بدّ من أن يرجع الى آراء بعض المؤرخين والبحّاث من المستشرقين الذين كتبوا في الاسلاميات . بيد ان هذا لا يحول دون أن نستطلع رأي الأستاذ شاكر في أمرين استخلصتهما من اكبابي على درس ما تناول المستشرقون من بحوث في الحديث : الأول هو تعريف طبقات الأحاديث ، والثاني تاريخ القُصّاص .

ففي كتاب الأستاذ جيليوم عن الحديث وأدب الحديث المطبوع في مطبعة جامعة اكسفورد سنة ١٩٢٤ تعريف كامل عن طبقات الأحاديث استنتجها على ما يظهر من جملة ما استوعب من تاريخ نشوء علم الحديث ، وهي عنده مصنفة كالآتي .

(١) الصحيح (٢) المسند : وهو الحديث الذي ينقله ثقات عن النبي مباشرةً (٣) المتصل الذي لا اضطراب في سنده ، فاذا لم تتصل روايته بالنبي فهو معلق (٤) المرفوع : وهو الذي يرجع به الى النبي : فهو إما متصل أو معلق (٥) المُعنعَن : مسنود بكلمة « عن » بدلاً من أن يكون النقل بالذات (٦) المعلق : ينقص سنده حلقة أو أكثر من الرواة ، فاذا كانت الحلقة (أي الاسم) ناقصة من وسط السلسلة فهو منقطع ، واذا كانت من النهاية فهو مرسل (٧) الفرد : الذي روى في مكان واحد بعينه أو نقل عن واحد لا أكثر ، فيعتبر ضعيفاً (٨) المدرج ، الذي يكون قد أقحم في سنده اسم واحد من أوالي الرواة (٩) المشهور: الذائع الذي نقله رواة كثيرون (١٠) الغريب : الذي يرجع الى ثقة واحد أو راوٍ واحد (١١) العزيز : الذي يرويه اثنان أو ثلاثة لا أكثر (١٢) المصحف : الذي اضطربت عبارته إما لذكر اسم شخص ما في سنده أو لاختلاف في نصه (١٣) المسلسل : يرتد سنده الى النبي وفيه يقال « سمعت » كذا وكذا (١٤) الضعيف (١٥) الموقوف : لا يتصلُ سنده بالنبي ، فينقصه شرط من شروط الصحة (١٦) المقطوع : مصدره الصحابة ، فيروي شيئاً من أقوالهم وأعمالهم (١٧) المرسل : منقول عن الصحابة عن النبي (١٨) المنقطع : الذي تنقصه حلقة في السند (١٩) المعدل : الذي ينقصه اسم أو أكثر في السند : كقولهم عن

مالك أن محمداً قال (٢٠) الشاذ : الذي يناقض حديثاً آخر صحيح السند (٢١) المنكر : حديث ضعيف ويناقض حديثاً ضعيفاً ، (٢٢) المعلل : فيه غلطة مستنكرة تدرك بالتأمل أو فيه اضطراب (٢٣) المدلس : فيه غلطة مستترة : إما بادعاء صلة منتحلة بين رواته ، أو أن أحد الأسماء الواردة في روايته قد قُـنّـع عمداً بذكر كنية (٢٤) المضطرب : الذي لا يتفق نصه مع حديث آخر (٢٥) المقلوب : حديث يعرف أنه روي عن شخص غير الشخص الذي تنسب اليه روايته (٢٦) الموضوع : المنقول بحيث يختلف فيه الرأي بين انه صحيح وانه منتحل (٢٧) الحسن : الذي تتوسط مرتبته بين الصحيح والضعيف .

على هذا التصنيف جرى جلة المؤلفين من رجال الغرب ، فهل للاستاذ الفاضل أن يزوّدنا بعلم من لدنه في هذا المجرى التاريخي ، وان ينقد منه ما يستحق النقد وان يثبت منه ما يستحق الاثبات .

ويروي بعض المؤرخين منهم روايات عن القصاص ينقلونها عن أدب المسلمين وتاريخهم وقد يستدل منها على ان أمر الحديث كان قد هان على كثير من الفئات في ذلك الزمن حتى اتخذ سبيلاً الى الكيد السياسيّ أو الى التجارة المرذولة .

فقد روي ان الشاعر كلثوم بن عمرو العتّابي الذي عاش في عصر الرشيد والمأمون ، قد جمع من حوله في مسجد ببغداد جمعاً من الناس وروى لهم حديثاً زعم انه حديث صحيح ومحصله : أنّ الذي في مستطاعه أن يلمس أرنبة أنفه بطرف لسانه ، يثق بأن نار جهنم لن تمسّه . وما كاد يفرغ من روايته حتى أخرج الجميع ألسنتهم ليمتحنوا في أنفسهم : أتنطبق على أحد منهم علامة النجاة للذين قدر لهم أن يدخلوا الفردوس ؟

وكذلك روى أن قاصًّا من هؤلاء كان يتفق وآخر من شيعته ، فيقف أحدهما بباب شارع ويقف صاحبه بالباب الآخر ، فيروي أحدهما أحاديث تشيد بعليّ ، ويروي الآخر أحاديث تشيد بأبي بكر ، حتى إذا انتهيا وجمعا من الصدقات ما تجود به أكف المؤمنين ، التقيا في ناحية واقتسما ربحهما آمنين .

فهل للأستاذ المحقق أن يزوّدنا بشيء من هذا التاريخ أو يحقق لنا شيئاً من صحة هذه الروايات إثباتاً أو نفياً ؟ على أن هنالك من الشبه الواردة على رواية الحديث ما لا يتفق والعقيدة السائدة ، فيها ينبغي على علمائنا ومؤرخينا أن يفحصوا عنها ويجلوها خدمةً للاسلام والمسلمين .

وختاماً لهذا البحث ننقل هنا ، تعريفاً بقيمة هذا العمل العلمي ، شيئاً من كتاب « مرشد المتعلم » تأليف سير جون أدمز وترجمة الأستاذ محمد احمد الغمراوي ، وذلك من فصل اضافي بقلم المترجم : قال :

« أما الحديث فلا نعرف أحداً وضع له مفتاحاً بالمعنى السابق إلاّ المستشرق فنسنك في أجزاء جاءت الى دار الكتب قريباً ، وله فهرس بالافرنجية أنفع من هذا ، لأنه يدلك على الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد بدلاً من أن يدلك على الأحاديث الوارد منها لفظ من الألفاظ . ولا نعرف من المسلمين مشتغلاً بوضع شيء يشبهه إلاّ القاضي المحدّث أحمد محمد شاكر، فانه يعمل من زمن في وضع فهرس لمسند الإمام احمد، نرجو له في إتمامه تمام التوفيق

١ — زقاق المدق

للاستاذ نجيب محفوظ — لجنة النشر للجامعيين

طالما ساءلت نفسي والحسرة تملأها كلما رأيت التجديد يأتي على أحيائنا الوطنية شيئاً فشيئاً .. ترى هل تطمس معالم هذا التاريخ الحافل قبل أن يخلق الفنان الذي يخلدها إلى الأبد ؟؟! نعم لقد أخرج توفيق الحكيم في هذا اللون معجزته عودة الروح . ولكنها وحدها لا تكفي . فضلاً عن أن توفيق قد انحرف عن هذا اللون منذ بعيد . وأخيراً وقع في يدي كتاب خان الخليلي للمؤلف فتناولته متكاسلاً عديم الثقة في أن أقرأ شيئاً يهزني وبدأت أقرأ . . . وتوالت الساعات وأنا لا أدري فقد نسيتُ نفسي لقد استغرقني ما أقرأ وشاقني ما أرى وشاركت هؤلاء الناس وهاطرتهم بؤسهم ونعيمهم وبسمت قليلاً لحظهم القليل من السرور وتألمت كثيراً لنصيبهم الكثير من الآلام . . . ولا زلت أذكرهم وأحنّ اليهم كأنهم قوم عشت بينهم حقاً أو تربطني بهم أواصر القربى . . . لقد استطاع نجيب محفوظ أن يجعلني أحب هذه الأحياء الوطنية التي كانت تتقزز منها نفسي وأن أستروح مناظرها تلك التي كنت أنفر منها قبل أن تكشف لي يد الفنان عما وراءها من أسرار . . . . هكذا كان شعوري عند ما قرأت قصته خان الخليلي وهو نفس شعوري عند ما قرأت قصته الأخيرة زقاق المدق .

اني أقولها قولة صريحة وأنا لا تربطني صلة شخصية بهذا الأديب وأعلن اليوم وستؤمّن على قولي الأجيال القادمة . لقد خُلق لنا أدب قصصي في مستوى الأدب الروسي الذي استرعى أنظار العالم بفضل دستوفسكي وتشيكوف وترجنيف ، وسيقف أدب القصة عندنا بين الآداب العالمية سامقاً يفيض قوةً وحياةً ونبضاً . . .

إنك مع نجيب محفوظ لا تقرأ قصة بل أكثر من هذا . . انك تشاهد وتعاشر وتشارك أشخاصاً وكأنهم في عالم الحقيقة أمامك يضطربون بل في صميم الحياة بلحمهم ودمهم بملامحهم المميزة الواضحة بهمومهم وآمالهم بمثالبهم وفضائلهم حتى أصحاب العاهات والشريرين تشعر نحوهم بعطف لا يقل عما تشعر به نحو اصحاب الفضائل من هؤلاء القوم ...

كم أنا مشتاق الى هذه الفتاة التي لا أخطئها وأنا أسير في شوارع الغورية والأزهر ، إنني أراها أمامي كما وصفها المؤلف وأعلم بما تخفيه عني في حنايا نفسها من خير وشر فقد جلا ذلك كله نجيب وكشفه أمام عيني . وعباس الحلو الحلاق ذلك الشاب الذي هو صورة حديثة للطابع الأخلاقي القديم طابع القناعة والرضى والحب والتعلق بالحي والعشيرة رغم ما يقاسيه من قلة في الرزق، ولكن لا عليه.. ما دام يجد صديقاً يخلص له مثل كامل صانع البسبوسة وخلان قهوة المعلم كرشة بالزقاق يسمر معهم كل مساء .

والشيخ رضوان التقي الورع والسيد علوان الثري صاحب الوكالة الذي شاء المؤلف أو شاءت قوانين الخلق الفني التي سيطرت على القصة ان تبتر مسراته بقسوة بعد ان كدنا نستروح معه كثيراً من راحة الحياة ولينها وكأنها الواحة الوارفة الظليلة وانه لما يلفت النظر ان الأستاذ نجيب لا يترك في قصصه مثل هذه الشخصيات تنعم بما هي فيه من رغد بل لعل لعنة الحياة لا تحل إلاّ بهم وكأنما لكي يعيد المؤلف التوازن الى القصة لا بد لأمثالهم من كارثة! ان الغريب الشاذ في شخصيات نجيب ان يستمتع شخصٌ ما بالسعادة والهناءة فمثل هذا الشخص يُرخي له في حبل المسرات لكي يبتره بعد ذلك بتراً قاسياً عنيفاً، ان بين نجيب وبين هؤلاء عداءً عجيباً . لا أدري مبعثه في نفسه . انه يعاملهم بقسوة حتى أن بوارق الهناءة التي تلوح أحياناً في قصصه لا تستطيع أبداً ان تبدد ما يكتنف جوّها من صرامة وقتام . وان أحق ما توصف به قصص نجيب أنها قصص قاتمة حتى أننا لم نسمع في سهرات قهوة المعلم كرشة شيئاً من «النُكت» المرحة مما اشتهر به أبناء البلد ، اللهمَّ إلاّ بعض نكتٍ صارمة ! وذلك اللون الفني القاتم يبدو أيضاً في لوحات بعض الرسامين المصريين العصاميين أمثال حسين بدوي ودرويش ولا بدّ لهذا من علاقة بحياتهم وبيئتهم .

أما المعلم كرشة وزوجته فهما الصورة الحقيقية التي لا «رتوش» فيها لحياة هذه الطبقة من أبناء البلد. وكذا إبنهما حسين الشرس؛ فقط.. ان شذوذ المعلم كرشة يبدو غريباً عليه بعض الشيء ولربما لو كان أصيب به كامل صانع البسبوسة مثلاً ثم تطوّر عنده الى استلطاف بعد تضخم جسمه لأشاع هذا في القصة جوّاً غير قليل من المرح والفكاهة هي في أشد الحاجة إليه

أما نهاية القصة فلعلّ المؤلف كان يريد أن يشرك حسين الشرس في المعركة، ولكن حالت دون ذلك بعض الاعتبارات !! والحق أن عدم إشراكه في المعركة كان غير طبيعي وهو الشيء الوحيد في القصة كلها تقريباً الذي لم يتبع منطق التحليل والملابسات وقد يكون المؤلف رأى أن اشراك حسين في المعركة ونجدته لزميله يستتبعان حتماً القبض عليه . ومعنى هذا أن الزقاق يقفر من شبانه بعد أن أقفر من فتاته الوحيدة ، ومعنى هذا أيضاً أن القصة

تحمل اللعنة على الزقاق وهذا ما لا يقبله نجيب لزقاقه المحبوب!

إن صدق التصوير ودقة الوصف وعمق التحليل هي ما يمتاز به فن نجيب محفوظ وإنّ روح المؤلف وسيطرته على أشخاصه وتحريكه لهم لا تفتر أبداً لحظة من اللحظات طوال القصة التي تستغرق حوالي الثلاثمائة صفحة فضلاً عن التوافق والانسجام بين جميع أجزاء العمل الفني. وليس هذا على أديب بالشيء القليل وإنه في أدبنا لفضل جزيل محمد فهمي

٢ — الوعي الجديد

للاستاذ حسين دياب — لجنة النشر للجامعيين

آلاف من شباب هذا الجيل في مصر تجيش نفوسهم بشتى العواطف ومضطرم الأفكار مدفوعين برغبة الاصلاح ولهفة الأمل في تقدم بلادهم تقدماً يقفز بها الى مصاف أرقى الأمم. ولكن القليل منهم من تحددت في ذهنه الأهداف واستنار السبيل ثم خطا فيه قُدماً وقد قرن التفكير بالعمل. وفي طليعة هؤلاء النفر القليل الأستاذ حسين دياب مؤلف كتاب الوعي الجديد فهو من أساسه قصة حياة المؤلف نفسه تطرق منها الى عرض قصة حياة الجيل الجديد المثقف في إطار يعبر عن حالة البلاد الاجتماعية وأثر الأوضاع الاقتصادية في طبقات الشعب في أسلوب قصصي أخاذ ينفي عن النفس سأم البحث وملل الاستقراء بينما يدفعك برشاقة الى حيث تجد نفسك أمام مشكلات أنت مدفوع الى التفكير فيها لأنها مشكلات الجيل وقضايا الوطن الاجتماعية والاقتصادية التي يجب على الشباب أن يجد لها حلاً. وقد عرض المؤلف حلولاً بعضها يمس صميم الأوضاع الاجتماعية وبعضها يدور حول نظام الدولة في حرصٍ أحياناً وفي جرأة في بعض الأحايين ولذلك جاء بعضها حلولاً وبعضها مسكّنات

والناحية القصصية في هذا الكتاب تعطينا صورة صادقة الى حدٍّ كبير ومحببة الى حدٍّ كبير أيضاً للريف المصري ببساطته وايمانه وأوضاعه الاجتماعية وتقاليده الخاصة تنطق بها سيرة ذلك الفتى — الذي تدور حوله فصول الكتاب، وأسرته ومحيطه الذي هو طابع واحد لا يتغير في جميع أنحاء ريفنا المصري.

ثم تدرجه في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي وفي انتقاله من مرحلة لمرحلة حتى التحق بالوظائف الحكومية وقد تخدع فتظن الكاتب ما قصد من عرض هذه الصور إلاّ التسلية ولكنك لا تسير في الكتاب حتى تلوم نفسك على هذا الظن، فما أراد إلاّ الإصلاح، الاصلاح الذي يرضي حماس الشباب والذي بدأه من نقطة الدفاع عن كرامته في محيط وجد كل من فيه وكأنما قد تحالفوا على النيل منها. وما تنتهي من الكتاب حتى تقنع بأن الشعب يجب أن ينال الكثير من الحقوق الاجتماعية وأن يتغير الكثير من الأوضاع الحالية

والتي يجب أن تميل الى مصلحة الطبقات الفقيرة حتى تحيا حياة فيها شيء من لين العيش : أما شباب الجيل من أبناء الطبقة الوسطى فلا أقل من أن يعيشوا كراماً وعلى أصحاب الثروات أن يشعروا نحو مواطنيهم بشعور الاخوة في الوطن والانسانية لا التباعد والاستعلاء ، وواجب الحكومة والديموقراطية أن تهيء الكثير من وسائل الانعاش والرفاهية لجميع الطبقات غير مؤثرة طبقة على أخرى وكما يقف الأفراد سواء أمام القانون فلتكن جميع الطبقات سواء في الاهتمام والمعاملة في نظر الدولة

٣ — ديموقراطية جديدة

الاستاذ احمد جمال الدين — مطبعة الاعتماد

يتناول هذا الكتاب المشاكل التي تواجه أمم الشرق الناهضة ويحاول أن يجد حلولاً للتوفيق بين تراث الشرق الذي يستمد أكثر وحيه من الدين وبين أنصار المدنية الحديثة فانه إذا كان الصراع الفكري في أوربا والغرب يقوم بين المذاهب السياسية والاجتماعية فإنه في الشرق لا بدّ من حسبان عامل ثالث له أثره وله خطره وهو التراث الديني الذي تغلغل بفضل عبقرية المشرعين الاسلاميين الى جميع خلايا الحياة الشرقية تقريباً المدنية والاجتماعية

وقد فهم الأستاذ جمال الدين هذه الحقيقة تمام الفهم فرأى من العبث أن يبسط نظرياته وطريقة فهمه للديموقراطية قبل أن يحل هذه المشكلة حلاً يمهد السبيل إلى غرضه، وقد وفق فيما رآى توفيقاً جديراً بالتنويه : فمن الأمثلة البديعة على فهمه الجديد لتقاليد الدين ومحاولة تطويعها بل مطابقتها للأوضاع العصرية الحديثة قوله في ص ٨١ بعد تمهيد لفكرته — يمكن مقارنة مشاهدة السيدة عائشة لرقص الحبشة بمشاهدة الفتيات للروايات المسرحية والسينمائية ومبايعة النساء يمكن أن يعتبر أصلاً لإعطاء المرأة حق الانتخاب . وسباق النبي للسيدة عائشة في الجري صورته العصرية دور من التنس بين الزوج وزوجته — إذا فهمنا ذلك فان نجد تناقضاً بين الدين وبين الحياة الكريمة القوية لهذا العصر » .

وتقوم فكرة المؤلف لفهم الديموقراطية على أسس فيها الكثير من التبرم بعيوب المجتمعات الشرقية ، ومن هذه العيوب استلهم فهمه الجديد أو علاجه الجديد للديموقراطية كما يجب أن تطبق في هذه المجتمعات ثم ندد كل التنديد بفكرة المصلح الفرد مهما كان صلاحه . ويرى من الأفضل أن يطول أمد الاصلاح حتى يتحقق على يد الأمة ممثلة في تطورها الديمقراطي بهيآتها النيابية فهو خير من أن يتم في فترة قصيرة على يد فرد مصلح مهما بعدت نواياه عن الأثرة والأنانية .

ويرى المؤلف أن العدالة التي كانت تتحقق في التاريخ الاسلامي على يد بعض الحكام

المخلصين كعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز لم تضف الى حقوق الانسان شيئاً جديداً رغم تصريح عمر الشهير « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » فان هذا التصريح سرعان ما نسي . بينما أثبتت الثورة الفرنسية تلك الحقوق اثباتاً قاطعاً جعلها من حق الجماهير غير منازع وكانت أساس كل الديموقراطيات الجديدة.

ونلاحظ أن المؤلف في الفصل الأول ينوّه بفضل الايمان المجرد على المجتمع وأثره في تقدمه ولكنه يعود في الباب الثاني عند حديثه عن الديمقراطية فيبدي مخاوفه من هذا الايمان حاسباً اياه مادة متفجرة خطيرة لا يؤمن وقوعها في يد زعيم مندفع فتسوء العاقبة ، بل انه ليقرر ان مثل هذا الايمان الحماسي لا بد له كنتيجة طبيعية من خلق زعيم وهنا الشر الذي يخشاه المؤلف.

أما آراؤه في اصلاح النظام الديمقراطي بعد أن قرر صلاحيته وأفضليته على جميع الانظمة المعروفة فهذه في حاجة الى مناقشة المختصين في هذه النظم . وكم يكون مفيداً أن يدور الجدل والنقاش حول مثل هذه الآراء الجديرة بالاهتمام التي يبديها المؤلف في كتابه فإننا أحوج ما نكون الى ثقافة سياسية اجتماعية مبنية على فهم النظام الذي نأخذ به وهو النظام الديموقراطي وان في كتاب ديموقراطية جديدة قدراً ان لم يكن كافياً لهذه الثقافة، فهو بلا شك محفّز للاستزادة منها وموجّه حسن التوجيه للراغبين .

٤ — رسالة بإنشاء مجلس فاروق الاول لتقدم العلوم باللغة العربية

الاستاذ محمد علوي عبد الهادي

هي رسالة صغيرة الحجم يتناولها القارىء وهو غير معتقد أن سيجد فيها فكرة يستطيع الوقوف عندها طويلاً فإذا قرأها وقف مفكراً وأمعن في التفكير في محتويات هذه الصحائف القليلة التي استطاع كاتبها الأستاذ محمد علوي عبد الهادي أن يطرق فيها موضوعاً على جانب من الأهمية نحن في أشد الحاجة اليه لتسير نهضتنا الحديثة على أسس ثابتة الدعائم وان البراهين التي ساقها المؤلف وغيرته على اللغة العربية والقومية الشرقية التي تتجلى في آرائه والحماس المدعم بالاطلاع اللذين يعزز بهما آراءه كلها مما يحملنا على التنويه بفضله وجهده . وكم نتمنى أن يكثر أمثال المؤلف من خريجي الجامعات المصرية فيجعلون همهم بعد التخرج استخدام ما تعلموه واكتسبوه من ثقافة الغرب كوسيلة للنهوض بثقافتنا الشرقية الخاصة ، والتنويه بتراثنا الفكري الذي كان له فضل بعث الحضارة الأوربية الحديثة والذي يقوم مع الأسف بعض علماء أوربا بالاشادة بفضله أكثر مما يفعل أبناؤه.

م . ف

١ — لمحات من الدراسات المصرية القديمة

للدكتور باهور لبيب — مجلة المقتطف — ١٤٢ صفحة من القطع الكبير

لعلّ المصريين أجهل الناس بتاريخهم القديم

هذه حقيقة مرّة، ولكن هذا لا يحول دون أن نسجلها هنا .

فلو كنا من الفراعنة مجهولون عندنا وإن كانوا معروفين عند طائفة كبيرة من علماء الغرب حتى غير المشتغلين منهم بعلم المصرولوجيا . وفلسفة الفراعنة تنال عناية من الأعاجم أكثر مما تلقاه من المصريين أنفسهم. ولعل هذه الحقيقة هي التي حدت بالأستاذ أحمد زكي سعد العالم الأثري المعروف الى طبع كتاب عن حفرياته في حلوان باللغة الانجليزية لا العربية لأنه أحسّ أن في نشر كتابه بالعربية وأداً له بينما نشره بالانجليزية يتيح لمصنفه فرصة إثارة اهتمام بين الأوساط العلمية الأجنبية .

فالدكتور باهور لبيب مشكور إذن على عنايته بنشر كتابه الجديد «لمحات من الدراسات المصرية القديمة» ، ومجلة المقتطف محمودة الجهد في اشرافها على طباعته وفي خص قرائها به في خاتمة عامها الحالي كهدية سنوية نفيسة .

ولو شاء المرء أن يدوّن ملاحظات من قراءاته في كتاب الدكتور لبيب لكان عليه أن يعيد كتابة الكتاب بأسره . وما ذلك إلاّ لأن المؤلف صاغ في قليل من الكلم كثيراً من الحقائق ، وتخير بوجهٍ خاص تلك الحقائق التاريخية التي تبرز المصريين القدماء — من فراعنة وقبط — بمظهر أصحاب عصر انبعاث في شتى مرافق الحياة .

وجولة قصيرة مع المؤلف في عالم مصنَّفه توقفك على ما فطر عليه المصريون الأقدمون من سعة أفق وصفاء ذهن وحسن استعداد لقبول الحضارة والعمل على تنميتها والأخذ بناصرها . ومن آفاقهم البعيدة في الرأي ، حرصهم على وحدة وادي النيل وحدبهم على شطر مصر الجنوبي حتى كان حاكم السودان يلقب باسم ابن الملك دلالة على أن فرعون ينتدب من يقوم مقام ابنه في ادارة شؤون السودان . وكان المصريون الفراعنة متضلعين من الطب — فعرفوا التشريح والتحنيط وتخصص أطباؤهم في أمراض الأسنان والبطن والعينين فدلّوا على أنهم كانوا عصريين في تفكيرهم . وايت الدكتور باهور أثبت في هذا الشطر من كتابه ما كان للمصريين من فضل في كشف طريقة يتسنى لهم بها معرفة جنس الجنين قبل ولادته تلك الطريقة التي تبين أخيراً بفضل بحوث الطبيب المصري الدكتور نجيب رياض صحتها . وعرف الفراعنة القانون الجنائي والقانون المدني وكانت لهم محاكمات حكم في أكثرها إمّا بالاعدام

بالخازوق أو بالنفي أو بجدع الأنف كما إنهم عرفوا محاكم الاختلاط لرفع الدعاوى على الأجنبيين من السكان. وتعشق المصريون الفن بضروبه فعرفوا الموسيقى والهندسة وتعلقت النساء بالزينة والتطرية وبرع منهن كثير في الرقص.

ومما يجدر إبرازه هنا بوجه خاص اهتمام الدكتور باهور بالتنبيه على الأخطاء التاريخية الشائعة فبيّن أن مقالة «مصر هبة النيل» لم يكن هيرودوت أول من فاه بها وإنما نقلها عن عالم جغرافي يوناني إسمه هيكاتييه، ودلّل على أن الأدب القبطي والفن القبطي لم يكونا مقتصرين على الشؤون الدينية وإنما شملا كذلك شؤون الدنيا. وبرهن على أن سرابيوم الاسكندرية من صنع بطليموس الأول لا الثالث كما يقول البعض، وأقام الدليل على أن الهكسوس من أصل سامي شرقي لا غربي.

وصفوة القول ان كتاب «لمحات من الدراسات المصرية القديمة» تعريف طيّب للمصريين بالمصريين القدماء ومبحث نفيس يرجع إليه الأديب والعالم على السواء ليقفا على حقائق تاريخية مشرقة مشرّفة.

٢ – عالم الروح

مجلة شهرية يصدرها الاستاذ احمد فهمي أبو الخير

الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير رائد مصري في علم الروح وعلَمٌ من أعلامه في الشرق – وهم قلّة وعلم الروح علمٌ أصبح له خطره في الغرب حتى غدا مادة تدرّس في الجامعات الاوربية وتعين لها كراسي في الجامعات العالمية الكبرى ويعترف بها رجال الدين في لندن

فليس أمراً عجيباً أن يصدر الاستاذ أبو الخير مجلة شهرية روحية تحمل رسالة هذا العلم الجديد إلى قارئ الصحف بعدما كانت الرسالة مقصورة على قارئ الكتاب وليس من المبتسر أن تصدر تلك المجلة الخاصة بين زحمة الدوريات العامة التي تخرجها دور الطباعة في كل يوم

ولا ريب في أن في علم الروح أموراً كثيرة لا تزال مستغلقة على الفهم. ومهمة مجلة «عالم الروح» أن تفسر تلك الحقائق المستسرّة للعامة وتبين لهم أن وراء كثير من الأحداث عنصراً روحيًّا مجهولاً. وآية ذلك ما جاء في مقال نشرته المجلة من أن الرئيس روزفلت كان يستهدي في أعماله بآراء عالم الروح عن طريق الوسطاء الروحيين. وهذا القول له خطره لأن الرئيس روزفلت أعظم رؤساء أميركا بغير استثناء ومدة حكمه أطول مدة لرئيس فرد قضاها في البيت الأبيض.

فالأستاذ أبو الخير جديرٌ بالتهنئة على مجلته الجديدة، ومن الامتاع والتثقيف الاقبال على تلاوة هذه المجلة.

وديع فلسطين

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الحادي عشر بعد المئة

٣٥١ التكافل الاشتراكي نظرية مّا في النظام الاجتماعي : اسماعيل مظهر
٣٥٩ باكستان : فؤاد محمد شبل
٣٦٦ شفاؤك عيد (قصيدة) : لخليل مطران بك
٣٦٧ نظرات في النفس والحياة (لاروشفوكولد) : تعريب ع . ش .
٣٧٤ أمراض العيون والدفتريا الرمدية : الدكتور عبد المسيح جرجس
٣٨٤ الثقافة العامة وتنظيم وسائل الاشراف عليها : عبد الحميد يونس
٣٩٥ في التربية : مشاكل النمو والصراع النفسي : محمود حامد شوكت
٤٠٠ العناية بالدواجن وتحسين أنسالها في روسيا السوفيتية
٤٠١ الاسكوريال : محمد رجب البيلي
٤٠٤ مشهد من مسرحية كليوباترا : محمد فهمي
٤٠٦ تشريح الهر
٤٠٧ حافظ وشوقي : صدى الحوادث عند الشاعرين : حسن كامل الصيرفي

٤١٩ المراسلة والمناظرة * رد على نقد : محمد فهمي
٤٢٠ مكتبة المقتطف * المسند . زقاق المدق : محمد فهمي . الوعي الجديد . ديمقراطية جديدة . رسالة لانشاء مجلس تقدم العلوم باللغة العربية : م. ف. (١) لمحات من الدراسات المصرية القديمة (٢) عالم الروح : وديع فلسطين

لحق المقتطف

ريوط : جنة الصحارى الأفريقية وروض الصحراء الغربية : بقلم عبد اللطيف واكد